

أحبك...

يا له من أمرٍ رائع

موضوع دراسة: حب وزواج

(الفرقة المسؤولة عن فرنسا واللوكسمبورغ وسويسرا)

تنبيه

يستعيد هذا الموضوع أحد التقاليد المعمول بها قديماً في فرق السيّدة إذ يضع في متناول الأزواج نصّاً يتيح لهم التفكير، على المستوى الزوجي وعلى صعيد الفرقة، في ما يشكل النوعيّة الخاصّة بالفرق: «البحث عن حياة زوجيّة سعيدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسيرة تدريجيّة نحو القداسة».

هذا النص مخصّص مبدئياً للفرق الحديثة، ويُصحح بأن تعتمده هذه الفرق كموضوع دراسة، مباشرةً بعد سنة المرافقة، أي بعد موضوع "مجتمعون باسم المسيح".

أما الفرق الأقدم، فيمكن أن يشكّل لها هذا الموضوع مناسبة لتحديد النقطة التي وصل إليها الأزواج في مسيرة حياتهم الزوجيّة أو في مسيرة الفرقة.

يتميّز هذا الموضوع بكونه:

- يقدّم رؤية رفيعة عن الزواج المسيحي.
- يركّز بشكل خاص على عدم إمكانية فسخ الزواج وعلى ديمومته، وهما مفهومان لا يمكن القول عنهما في الوقت الحاضر أنّهما من المُسلّمات...
- يوفّر رؤية شاملة للزواج، بما فيه من جوانب نفسيّة وروحيّة وجسديّة، علماً بأنّه كان لدى الكنيسة في السابق، ولدى الفرق أيضاً، اتجاه نحو حجب الجانب الجسدي والجنسيّ منه.
- لا يطمح إلى معالجة كل شيء بل يستهدف تسليط الأضواء في عدة اتجاهات دون إنارة المشهد بكامله، وهو مشهد رائع، لكنّه سرّي في جوهره.
- يقترح بالمقابل مراجع مقسّمة إلى فئتين: فئة الكتب والمقالات الأساسيّة، وفئة الكتب أو المقالات المتعلقة بنواحٍ محدودة من الزواج والتي قد تسترعي اهتمام بعض الأعضاء.
- حُرّر عمداً بلغة وأسلوب مبسطين، مع التقليل من الإشارة إلى "الفرق" كي يصبح، إذا لزم الأمر، مستند تأهيل وإعلام تستخدمه الأسر غير المنتسبة إلى حركة "فرق السيّدة".
- وأخيراً، وبشكل خاص، إنّهُ وثيقة تتسم بطابع مؤقت من حيث صياغتها، وقد قام بتأليفه فريق صغير من أسرٍ مختلفة من حيث الأقدميّة والخبرة، وهي تتمنى تحسين هذا العمل على يد جميع الذين سيتسنى لهم دراسته. ولهذا الغرض، فإنّ هؤلاء مدعوون إلى إرسال ملاحظاتهم وانتقاداتهم واقتراحاتهم، إلى أمانة سرّ الحركة في باريس (ويمكنهم اقتراح نصوص جديدة للمقاطع التي يرونها غير كافية).

مع تمنياتنا «لحبّ جيّد وزواج جيّد» بكلّ ما في العبارتين من معانٍ...

فريق التحرير

كيفية استعمال الموضوع

هذا الموضوع مخصّص أساسًا للشبّان والشابات الذين عقدوا زواجًا حبّيًّا، وهم يحرصون على السير إلى الإمام على درب الحياة المسيحيّة، لكنّهم يفتقرون إلى أسس متينة من التعليم الدينيّ، ولا يعون بوضوح ما يعيشونه. كما أنّهم يتأثرون بصورة خاصة بالأراء الرائجة حاليًّا كالتي يعبّر عنها بأقوال مثل: «من حقي أن أكون سعيدًا (أو سعيدة)» ... أو «يجب أن انفجر» ... أو «سنعمد إلى الطلاق إن لم تجر الأمور على الوجه المرغوب»...

ويستهدف الموضوع جعل هؤلاء الشباب يدركون ماهيّة الزواج وأهمّيّته وديمومته. كما يركّز على الجهود الواجب عليهم بذلها وعلى الشروط الواجب توفرها لديهم كي يكون زواجهم ناجحًا.

وسنعمد، باعتبارنا مسيحيين جسديًا وروحًا، إلى عمليات استقصاء متتالية لجميع جوانب الزواج، متخذين من الله مرجعًا لنا في كلّ مكان.

تقسيم الموضوع

يتضمّن الموضوع ثمانية فصول يخصّص كلّ منها لاجتماع من الاجتماعات الثمانية الملحوظة للفرقة خلال السنة.

وينألف كل فصل من بضع صفحات تُطرح فيها المشكلة ويُعبّر فيها عن بعض المبادئ، كما يحتوي على مجموعة أسئلة وعلى مراجع لها علاقة بالموضوع، وفيه أيضًا مقطع من «كلام الله»، وصلاة وتأمّل ملائمان.

وبالنسبة للأسئلة المتعلقة بكل موضوع، من الواضح أنّ المطلوب من الأعضاء ليس الأجابة على جميع الاسئلة بل انتقاء السؤال أو الاسئلة التي تهّمهم أكثر من سواها والتي قد تؤدّي بهم إلى إعادة النظر في آرائهم السابقة.

يُستنتج من ذلك أنّ دراسة هذا الموضوع تتطلّب عملاً شخصيًّا يقوم على البحث والتفكير.

هذا، وقد تمّ تقسيم الموضوع إلى ثمانية أجزاء لاسباب تربويّة، علمًا بأنّ كلّ جزء لا يتناول سوى جانب واحد من الزواج. لذلك، وبما أنّ لهذه الطريقة التحليليّة سيئات عدة، فقد كان من الضروريّ إعطاء القارئ مباشرةً فكرةً شاملةً عن الزواج، وهذا هو غاية المقدّمة، وهي مقدّمة بالغة الأهميّة ويجب قراءتها قبل كلّ فصل.

خلاصة الموضوع

- المقدمة : رؤية شاملة للزواج المسيحي.
- الفصل الأول : سرّ لقاء الزوجين وروعه.
- الفصل الثاني: أتعلّم كيف أكتشفك - الاختلافات القائمة بين الزوجين ... المجابهة بين الحبّ والأنانيّة... الحوار ... الاحترام المتبادل ... نسبة الاستقلالية الواجب قبولها عند الزواج.
- الفصل الثالث: الزوجان يبنيان معاً مشاركة حياةٍ وحبّ - الأموال الماديّة ... المنزل ... العلاقات بين الحبّ والمهنة ... الالتزامات.
- الفصل الرابع: الزوجان يتبادلان هبة الجسد - العلاقة الجنسيّة هي من إرادة الله... إنّها إذاً محبّذة ... إنّها تؤمّن الازدهار لكنّها تتطلّب الكثير ... إنّها وسيلة وليست غاية ... نوعيّة الحياة الجنسيّة من الزاوية المسيحيّة.
- الفصل الخامس : الزوجان يعيشان يومياً سرّاً زواجهما - الإنارة الروحيّة للحياة على مرّ الأيام.
- الفصل السادس : الزوجان يريدان إنجاب الأولاد - الخصوبة هي الهدف الثاني من أهداف الزواج ... السخاء في عطاء الحياة... كيف يتمّ العيش مع العقم الجسدي إن وُجد.
- الفصل السابع : نتعاون كي ننمو - يتكفّل كلّ من الزوجين بالآخر... ويساعده على الازدهار ... ما هو دور التطلّب في الحبّ... التطلّب كما يعاش في الاستمراريّة.
- الفصل الثامن : مدعوّان معاً إلى القداسة.

مقدّمة

الزواج المسيحيّ هو في آن واحد: روعة من روائع الله، مشروع حياتي، بناء متواصل، سرّ.

روعة من روائع الله

الزواج المسيحيّ هو حبّ بشريّ غيّرت النعمة وجهه. يريد الزوجان أن يعيشا حبّهما بصورة تامة وأن يُدرجا فيه جميع جوانب حياتهما، في الاستمرارية والوفاء، مع الحرص على تحقيق تقدّم متواصل.

فالحب الذي يتبادل الرجل والمرأة يشكّل روعة بحدّ ذاته، إلا أنّه هشّ ويحتاج الى حماية ضد العدوان الخارجي (الخيانة الزوجيّة) والعدوان الداخلي (الاستهلاك)، وهذا ما يهدف إليه الزواج المدني على الصعيد البشري المحض.

- أمّا الزواج المسيحيّ، فإنّه مبنيّ على الصخر وهو بالتالي يجلب معه ثلاث «إيجابيات» إضافية هي:
- الديمومة، لأنّ الالتزام في سرّ الزّواج غير قابلٍ للحلّ وهو يوفر كلّ الفرص المؤاتية للاستمرارية. وعلى غرار الرّواد القداماء الذين كانوا يحرقون سفنهم كي لا يعودوا إلى الوراء، نحن أيضًا كمتزوّجين، عندما نلفظ ونحن نحتفل بسرّ الزواج كلمة «نعم»، «نتعهّد» بأن نجعل حياتنا المشتركة ناجحة بأيّ ثمن.
 - الطابع الشموليّ، فالزواج يتعلّق بالرجل في كليّته وبالمرأة في كليّتها، في جسد كلّ منهما وروحه وعقله، والزواج المسيحيّ يُبرز في هذا الشمول الجانب الإلهيّ البحت إذ يجمع بين «ابنين من أبناء الله».
 - السعادة، فالزواج يحاول على الأقل أن يوفّر للزوجين أفضل شروط النجاح، أي السعادة. أمّا الزواج المسيحيّ، فيؤمن لتلك السعادة أكثر أسسها متانةً وهو البحث المشترك عن القداسة، عن علاقة الحبّ مع الله، فالله يحوّل أسرتنا إلى خلية كنسيّة، إلى علاقة تشهد لحبه أمام العالم.

فالزواج المسيحيّ إذًا، لأنّه يتميّز بكلّ هذه السمات، هو حقًا روعة من روائع الله، وحياءً "فِرَق السيّدة" تساعدنا على التعرّف عليه على هذا النحو.

مشروع حياتي

بينما يقضي العديد من الرجال والنساء حياتهم دون معرفة سبب وجودهم في هذه الدنيا، نحن المتعمّدين نحظى بهذه المعرفة إذ ندرك أنّ مصيرنا، رغم وجودنا على الأرض، يكمن في حياة أبدية ضمن علاقة حبّ

مع الله، حياةً تبتدىء في هذه الدنيا منذ الآن. وباعتبارنا متزوّجين، فنحن نتلقّى بشرى الحبّ الذي يُعاش كاملاً مع المسيح، والرّبُّ هو الذي يجمع بين الزّوجين لتحقيق مثلهما الأعلى في ازدهار كيانهما وتفتّحه تفتّحاً كلياً.

أمّا مشروعنا الحياتي كزوج وزوجة، فهو:

- أولاً وقبل كلّ شيء، أن يحبّ كلّ منّا الآخر حبّاً لا حدود له.
- أن نتعاون في الحياة على أن يتكفّل كلّ منّا بالآخر تكفّلاً كاملاً، أي في الجسد والروح والعقل.
- أن نحقق ازدهارنا بأن يحاول كلّ منا تأمين سعادة الآخر ووضعه على طريق القداسة، وبأن نبني معاً «كياناً مشتركاً من الحياة والحب».
- أن نتمتّع بالخصوبة وأن نحقق ديمومتنا عبر أولادنا وعبر مشاريعنا البشريّة.
- أن نتقدّم في السنّ معاً، في جو من الهدوء والصفاء، كي نتهيأ لمشاهدة الله سويّة، الله الذي جمعنا معاً ولا يزال.

هذا هو مشروع الحياة الشاملة الذي يعرضه علينا الزّوّج المسيحيّ، والذي تطمح "فرق السيّدة" الى مساعدتنا على تحقيقه.

بناء متواصل

بيد أنّه يجب متابعة بناء الزّواج كلّ يوم، حتى لو كان قد تقدّس منذ البدء بواسطة السرّ. وهذا المفهوم من البناء الدائم هو الذي يفتقر إليه العديد من معاصرنا، اعتقاداً منهم أنّ صعقة الحب الأولى تكفي لوقاية الزّواج من استهلاك الحياة الرتيبة. فمثلما يجب تزويد النار بالحطب لتغذيتها، كذلك يجب مواصلة عمليّة بناء الزّواج يوميّاً، وهذا يستلزم أولاً أن تكون لدينا الرغبة في القيام بتلك العمليّة.

يفترض ذلك أيضاً أن نتجنّب الانجراف مع بعض النزعات (كالأنانيّة على نحو خاص) وأن نتّخذ مواقف إيجابية وبناءة نثبتها على مرّ السنين، حريصين على متابعة تقدّمنا على كافة الأصعدة، علماً بأنّ الحوار هو أساس هذه المواقف. والترتيبات المقابلة لذلك تتعلق أولاً بالعقلية العاطفيّة والجنسيّة وتتعلق أيضاً بالنواحي الماديّة الخاصّة بالحياة الزوجيّة، سواء كان ذلك لجهة التعاون المالي أو إدارة أموال الأسرة، مع الإشارة إلى أنّ مجال الفكر والثقافة له دور هام على هذا الصعيد.

إنّ البعد الروحيّ في الزّواج المسيحيّ لا يُجنّب خطر الأزمات أو الإغراءات أو التجارب، غير أنّ الحياة الروحيّة المشتركة تساعدنا في سعينا كزّوجين إلى أن نكون على بصيرة من الأمور تحت نظر الربّ في

محاولة للتغلب على اليأس في الأوقات الصعبة. وعندما نمارس التقاسم والتعاون الروحي في جو من الصلاة، تتحوّل نظرتنا لسائر نواحي الحياة الزوجية إلى نظرة خاصة فنصبح قادرين على جعل هذه المشاكل نسبية.

إنّ فرّق السيّدة، بما لديها من طرق تربوية وإطار حياتي، ولكونها محرّكاً روحياً، تحثنا على أن نجعل من زواجنا بناءً متواصلاً وأن نحاول بلوغ السعادة والقداسة في ذات الوقت.

سرّ

يعترف الزّوجان المسيحيان بأنّ الحبّ الذي يشكّل دعوة إلى بذل الذات من أجل شخص آخر وتفضيله على سائر الأشخاص، إنّما هو هبة من الله ومساهمة في كيان الله بالذات، الله المحبّة.

ونحن، بواسطة هذا الحبّ وفي هذا الحبّ، نكرّس أنفسنا لله، مقدّمين إليه كياننا كلّ، فتصبح حياتنا الزوجية «علامة» على وجود الحبّ وإمكانية تحقيقه، وعلى أنّنا كزّوجين قد أُعطي كلّ منا إلى الآخر كي نعيش معاً هذا الحبّ ونجد فيه سعادتنا وازدهار شخصيتنا في كلّ أبعادها، دون المساس بالاختلافات القائمة بيننا، وبذلك ندخل تدريجياً في القداسة التي هي دعوة كلّ مسيحي ("الحدّ الأدنى الحيوي"، كما تقول الفيلسوفة سيمون فيل).

لذلك نريد نحن الأزواج المسيحيين أن نكرّس للمسيح حبنا الذي يكون ملكاً لنا بقدر ما نعترف بأننا تلقيناه هبةً من الله.

الفصل الاول: سرّ لقاء الزوجين وروعته

(ننصح بإعادة قراءة المقدمة قبل التطرّق إلى هذا الفصل)

"من لا يُحبّ لا يعرف الله لأنّ الله محبّة" (١ يوحنا ٤، ٨)

أحبّك، يا له من أمر رائع!

نقترح عليكم في هذا الاجتماع أن تتأمّلوا الرّوعة التي يشكّلها حبّنا والحظّ الذي حصلنا عليه في أن يكون لدينا هذه «الشمس» التي تضيء حياتنا... فدعونا ننظر إلى تلك الشمس ونقدّرّها ونقارنها مع مصير العديد من التعساء المنعزلين والمحرومين، لا سيّما من الحبّ الذي يبحثون عنه من مكان الى آخر، والمصابين بشتى أنواع المرض... لنفرح ونبتهج ونسعد بحبّنا... فالحبّ الزوجيّ هبة رائعة.

تلك الرّوعة هي من الله... وإلا كيف يمكن للزوجين أن يفسّرا كونهما إلتقيا معاً في وسط الجماهير؟ أو كون شيء سرّي نبعّ بينهما ليدفع كلّاً منهما نحو الآخر؟ نعم، هذا الحبّ الجميل هو حقاً هبة من الله... وعلى الزوجين أن يرفعا آيات الشكر إلى الله الذي أنعم به عليهما.

فلنحمد الله إذاً لأنه أتاح لنا أن ننعم بهذا الحبّ العظيم المتبادل الذي يسعدنا، دعونا نقدّم هذا الحبّ بالذات قرباناً إلى الربّ... ونطلب إليه أن يساعدنا على صيانتته مثلما تصان النار.

أحبّك، إنه سرّ

لماذا أنا ولماذا أنت؟ لماذا نحن الإثنين؟ دعونا ندخل في هذا السرّ ونقبل ما يتضمّنه الحبّ من أمور خفيّة، فالحبّ روعة ولكنّه ينطوي على مخاطرة نسيّة.

إلى أين سيقودنا هذا الحبّ؟ إلى أيّة أفراح وتضحيات واكتشافات؟ إنّ قبولنا بالدخول في سرّ حبّنا يعني أنّنا بشريّون كليّاً ومسيحيّون كليّاً.

لأني أحبّك أتق بك، وأحبّك لأني أتق بك

إنّي أقبل بمخاطرة الحبّ بكلّ طيبة خاطر لأني أتق بك. لقد رضيت أن أبني حياتي على مراهنّة، هي أنّك ستجعلني (أو ستجعليني) سعيدةً (أو سعيداً). إنّ مثل هذا المفهوم لإيمان الزوجين واحدهما بالآخر لا يمكن

فصله عن مفهوم الإيمان بالله، وكذلك فإنّ الروعة والسرّ اللذين يشكلهما الحبّ يؤدّيان بنا بصورة طبيعية إلى الله الذي هو روعة وسرّ.

نصّ

"... الحبّ الزوجيّ هو قبل كلّ شيء حبٌّ بشريّ كلياً، أي إنّهُ محسوس وروحانيّ في ذات الوقت. فهو ليس إذًا مجرد انطلاقة غريزيّة وعاطفيّة بل هو أيضًا وخاصّة، فعل من أفعال الإرادة الحرة يقوم به الزوجان ليحافظا على كيانهما وينموا عبْرَ أفراح الحياة اليوميّة وآلامها بحيث يصبحان جسّدًا واحدًا وروحًا واحدة ويبلغان معًا كمالهما البشريّ.

والحبّ الزوجيّ هو حبٌّ كامل أي شكل خاصّ من الصداقة الشخصيّة يتقاسم فيها الزوجان بسخاء كلّ شيء دون تحفظ ودون التفات إلى مصلحتهما الأنانيّة. إنّ من يحبّ زوجه فعلاً يحبّه لا لأجل ما يتلقاه منه فحسب إنّما لأجله هو، وهو يجد سعادته في أن يكون قادرًا على إغنائه بمنحه ذاته.

والحبّ الزوجيّ أيضًا حبٌّ وفِيٌّ ومانعٌ لسواه حتى الموت. هكذا يتصوّرهُ الزوجان عندما يحتفلان بإكليلهما فيوافقان طوعاً على الالتزام بالرابطة الزوجيّة. قد يكون مثل هذا الوفاء صعباً، غير أنّهُ ممكن في جميع الأحوال وهو يتّسم دائماً بالنبيل ويستحقّ التقدير. والتاريخ حافل بوقائع برهن فيها سلوك الزوجين على أنّ الوفاء بينهما يتألّف مع طبيعة الزواج، لا بل إنّهُ مصدر لسعادة عميقة ودائمة.

والحبّ الزوجيّ، أخيراً، هو حبٌّ خصبٌ، لا ينضب نتيجة لاتحاد الزوجين، إنّما يستمر في الأولاد، فالطبيعة لحظت للزواج وللحبّ الزوجيّ أمر إنجاب الأطفال وتربيتهم، والأطفال هم في الواقع أميز ما يعطيه الزّواج، فهم يساهمون كثيراً في جلب الخير إلى آبائهم وأمّهاتهم بالذات...

البابا بولس السادس (١٩٦٨)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الرّوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

- ما أحبّه فيك؟ ما اجتذبتني على الفور؟
- ما أحبّه فيك بقدر أقلّ؟ وما يؤلمني أو يزعجني أحياناً؟
- كيف أدّى اكتشاف الحبّ بيننا إلى تغيير حياة كلّ منّا؟
- ماذا تنتظر (أو تنتظرين) منّي؟
- هل حبُّنا هو نقطة انطلاق؟ أم ملاذ؟
- هل نستطيع أن نستعيد بيننا هذه اللحظة الأصليّة من الحبّ وهذا الجوّ الذي كان سائداً بيننا في البداية؟
- كيف تطوّر حبُّنا؟
- كيف خرج نامياً من خلال إحدى المحن؟
- ما هو دور الروحانيّات في هذا التطوّر؟
- ما هي المساعدة التي نطلبها من الفرقة ومن الحركة في هذا المجال؟
- هل نحرص، بدون دافع من حبّ الظهور، على أن نقول للعالم روعة حبنا؟ لأولادنا أولاً، ومن ثمّ لأصدقائنا وأهلنا والشباب المحيطين بنا؟

نص للصلاة

" وبنى الرّبُّ الإله من الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: «هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنّها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً». "

(تكوين ٢، ٢٢-٢٤)

الجهد المقترح للشهر القادم

تضمين صلاتنا الشكر لله لأجل حبنا.

نصوص مختارة حول الفصل الأول

«... ليس الحبّ الحقيقي سوى هذا المزيد من النعمة الذي يفوق بما لا يحدّ كافة الأسباب الوجيهة التي تجعل المرء مُحبباً أو محبوباً.»

(ج. بوربون بوسى)

« جميلة أنت يا حبيبتى، جميلة أنت وعيناك حمامتان.
جميل أنت يا حبيبي وعذب، وفراشنا ريان. »

(نشيد الاناشيد ١، ١٥-١٦)

« ماذا أكون لولاك، أنت التي تأتين لملاقتي؟ لولاك لن أكون إلا قلبًا نائمًا في الغابة، لن أكون إلا متممة أو ساعة واقفة، تعلمت منك كل شيء عن الأمور البشرية وأصبحت أنظر إلى العالم نظرتك إليه... »
(أغنية)

«تعلمت كل شيء منك مثلما يشرب الناس من العين ومثلما يقرأون النجوم النائية في السماء ومثلما يكرّرون الأغنية التي ينشدها عابر الطريق... أمسكتني بيدي في هذا الجحيم المعاصر حيث لم يعد الإنسان يعرف ما هي حياة الشخصين معًا... أمسكتني بيدي مثل عاشقٍ سعيد... »
(الشاعر الفرنسي أراغون)

« أحببيني، أحبك.. أحببيني دائمًا... ماذا ستكون حياتي لولا وجودك؟ أحببيني، أحبك... أحببيني دائمًا... أحتاج إلى الحب وأحتاج إليك.

سأركض نحوك ملتهبًا بالحماس..

كنتِ تبتسمين لي فأفقد رشدي، وعندما أتذكر ذلك يخفق قلبي...

كان حبنا آنذاك يخطو خطواته الأولى...

هذه اللحظات الهشة التي تبدو بدون فائدة إنما هي صورٌ ذاكرتنا، صورٌ نتقاسمها بين عاصفة وأخرى لنكتب معًا نهاية القصة...

ثوبك الأبيض، خاتم الزواج في إصبعك، المحفلون المحيطون بك، الغرفة التي فقدتُ جرأتي فيها، كل ذلك يشكل ذكري لن أنساها أبدًا. »

(أغنية للمطرب الفرنسي انريكو ماسياس)

الفصل الثاني: أتعلّم كيف أكتشفك

(ننصح بإعادة قراءة المقدّمة قبل التطرّق إلى هذا الفصل)

«أحمدك لأتّك أعجّزت فأدهشت» (المزمور ١٣٩-١٤)

في هذا الاجتماع الثاني، نقترح عليكم تناول الجانب النفسيّ والعاطفيّ من مغامرتنا الزوجيّة. وهذا الجانب لا يمكن فصله عن جوانب حبّنا الأخرى كالروحيّة والجنسيّة، ونعرف تمامًا أنّ ثمة ارتباطاً وثيقاً بين الجوانب النفسيّة والعاطفيّة والجنسيّة.

النقاط الثلاث التي نعرض عليكم التطرّق إليها هي الآتية:

- أن يلاحظ الزوجان ما بينهما من اختلافات وأن يأخذا علماً بها.
- أن يرى كلّ منهما الآخر كما هو (وليس كما يريده أن يكون)
- أن ينظر كلّ من الزوجين إلى الآخر نظرة إيجابية، نظرة حبّ.

ملاحظة الاختلافات

يفترض الحبّ الحقيقيّ توفر عدة شروط، منها شرط الوعي، أي وجوب وعي الزوجين للتباين بينهما. إنّ وجود هذا التباين إنّما هو أمر واقع، أمر مرتبط بالفرق بين الذكر والأنثى. مثلاً:

- يعتمد الرجل عادة على عقله في حين تستند المرأة أكثر إلى حدسها.
- الرجل متحفّظ أكثر من المرأة لجهة التعبير عن مشاعره وهو يتصرّف أحياناً كما لو كان يعتبر أنّ إظهار حبه يشكّل علامة ضعف. أمّا المرأة، فهي عادة أكثر تلهّفاً إلى علامات الحنان وتحتاج إلى سماع الرجل يقول لها: «أحبّك».
- الرجل أكثر تمييزاً في تصرّفاته (بمعنى أنّه يتّخذ موقفاً في العمل وموقفاً آخر في البيت وموقفاً ثالثاً خلال أيام العطلة...) بينما تتخذ المرأة موقفاً أكثر شمولاً، فهي في آنٍ واحدٍ زوجةٌ وأمّ وغالباً أنثى في عملها الخارجي.
- الرجل، باعتباره أقوى بدنياً، يستطيع بذل جهود مكثّفة أكثر من المرأة، علماً بأنّها في النهاية أشدّ منه مقاومة وتحملاً (ويصحّ ذلك أيضاً، في أغلب الأحيان، على الصعيد المعنوي).
- وإلى هذه الأسس العامّة، تضاف خصائص كلّ فرد بحيث تتكوّن له شخصية فريدة، وبالتالي فإنّ حبّ كلّ من الزوجين للآخر يقوم على اكتشاف تلك الخصائص وقبولها والتكفل بها.

رؤية الآخر كما هو

تنهار أسرّ كثيرة لأنّ كلاً من الزّوجين فيها (أو أحدهما) يُدرك ذات يوم أنّه اقترن بشخص غير الشخص الذي كان يتصوّره. فالحبّ يتطلب من كلّ منهما أن يرضى بالآخر على علّاته وليس كما يحلم به، وبالتالي يجب على من يحبّ أن يظهر نفسه على حقيقتها أمام الآخر، لا أن يكونَ من ذاته شخصية قادرة على إغرائه.

الحبّ إذاً يفترض التعامل بصدق وتواضع (علمًا بأنّ ذلك لا يمنع من بذل الجهود لتحسين الذات ولا السعي لإرضاء الزّوج بقدر أكبر).

النظر إلى الآخر نظرة إيجابية، نظرة حبّ

بعد أن نلمس الاختلافات القائمة بيننا وبين زوجنا وبعد أن نرضى به مع خصائصه ومواهبه وحدوده، يجب علينا أن نحبه من أجله هو وكما هو، ويجب قبل كلّ شيء أن نحاول تغيير قلبنا تجاهه قبل أن نحاول تغيير قلبه هو.

إنّ أوّل «أداة» من أدوات الحبّ هي النظرة، وإذا كنّا نحبّ فعلاً زوجنا، فعلينا أن ننظر إليه نظرة حبّ كما هو، نظرة مماثلة لنظرة الربّ إلينا.

نصّ

" أتصوّر زوجًا شابًا قيل له إنّ من غير المستحسن أن يرتجل ما يجري من حديث مسائيّ بينه وبين زوجته. فيقرّر هذا الشاب العمل بالنصيحة، وما إن يعود إلى المنزل حتى يعمد إلى سؤال زوجته عن كيفة قضاء نهارها، وعمّا قامت به من أعمال، وعن الأشخاص الذين التقّتهم، وعن وضع مولودهما الجديد، ويخبرها بدوره عن الجوانب الهامّة من حياته المهنيّة، ثم يقترح عليها أن يقرأ معًا خلال السهرة الكتاب الذي اشتراه لتوّه.

إلّا أنّه بالرغم من صحة هذا المفهوم للعلاقة الزوجيّة وبالرغم من الجهود الحميدة التي بذلها الزّوج، لا يُستبعد أن تفشل السهرة وأن يشعر كلّ منهما بخيبة أمل، فيبقى منفردًا وحيدًا وينتابه الملل بحيث يلجأ الى المونولوج الداخلي أو يتيه في الأحلام.

في الواقع، لا يقتصر المطلوب في هذه الناحية من الحياة الزوجيّة على معرفة النظريّات واكتساب اللباقة، فالزوجان اليوم لم يعودا كما كانا بالأمس، وعلى كلّ منهما أن يذهب لملاقة الآخر سالكًا طرقًا مجهولة، وأن يحاول سنبر حياته في أعماقها، وأن يبحث عمّا يثير انتباهه واهتمامه وحنانه، وأن يتجنّب الأمور التي تؤدّي

إلى إزعاجه أو إرهاقه، وأن يكتشف ما من شأنه أن يُرسي الاتحاد بينهما، وعندئذ، تتحقّق المعجزة أحياناً، فيحصل بينهما حوار حقيقي عميق يتمّ فيه اتّحاد القلبين والرّوحين مع تبادل كلماتٍ قادرة بصورة رائعة على تغذية هذا الحوار، ما لم يسُدّ بينهما صمتٌ يكون أحياناً أكثر فعاليةً من الكلام...

لا يكفي أن يكون الإنسان ضليعاً في علم النفس أو أن يعرف عن ظهر قلب أصول العلاقات الطيبة بين الرّوج والرّوجة، بل يجب عليه أن يعرف كيف يبتكر كلّ حديث وكلّ أمسية ليجعل منهما لقاءً حقيقياً. بيد أنّ الابتكار هنا أمر صعب ومتعب وهو يفترض بالأحرى وجود حبّ حيّ، حبّ شابٍ لا يكتفي أبداً بالأحاديث السطحية، حبّ يتوق إلى تحقيق اتحاد أوثق، حبّ يحفزه الرجاء. فالحبّ هو الذي يوجد الابتكار، والابتكار بدوره يُغني الحبّ.

هنري كافاريل (من كتابه «الحضور لله»)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الرّوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحصير الاجتماع الشهري).

يجب أن نعي، كزوج وزوجة، الفروقات النفسية والفيزيولوجية والعاطفية القائمة بيننا وكذلك ما نختلف فيه من حيث الميول والثقافة والتربية والعادات الحياتية:

- بماذا نحن متكاملان؟
- هل نقبل بالفوارق الموجودة بيننا؟ هل نتحمّلها؟ كيف نتدبّر أمر النزاعات بيننا (إن وجدت)؟
- هل يُحسّن كلّ منّا الإصغاء إلى الآخر والتحدّث إليه؟ هل لدينا الميل إلى الإصغاء وهل نملك حسّ الإصغاء على المستويين الزوجي والعائلي؟
- هل يشعر كلّ منّا بأنّه موضع احترام؟ هل يحترم بدوره «الحديقة السرية» عند الآخر؟
- ما هو مدى «الاستقلالية» الذي يوافق عليه كلّ منا لدى زوجه؟
- كيف أعيش عملية المجابهة بين حبّي والأنانية التي تكمن فيّ والتي هي عبارة عن رغبة خفية في التملّك؟
- هل أدرك أنّ كلّ حبّ حقيقي يتضمّن قدرًا من نكران الذات؟ هل أرى بأن أعيش تلك التضحية بدافع من الحبّ؟
- كيف نعيش التباين القائم بيننا في المجال الروحي؟

- ما هو التقدم الذي أحرزناه على صعيد الاكتشاف والرضى المتبادل منذ أن جمع الحبُّ بيننا ؟ هل بذلنا جهداً لمعرفة قصة حياة من أحببناه قبل الالتقاء به وكذلك قصة حياة عائلته، علمًا بأن هذه المعرفة تقترن أيضًا بالفرح؟

- ما هي المساعدة التي نطلبها من فرقنا؟

- ما هي الفائدة التي نجنيها في مجال الاكتشاف من مساعدة حركة فرق السيِّدة أو حركات أخرى؟

نصّ للصلاة

«المحبّة حليلة مترفقة، المحبة لا تعرف الحسد ولا العجب ولا الكبرياء، ولا تفعل السؤ ولا تسعى الى منفعتها، ولا تحنق ولا تبالي ما ينالها من سوء، ولا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحق.

وهي تعذر كلّ شيء، وتصدق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء وتصبر على كلّ شيء. المحبة لا تزول أبدًا.»

(١ قورنثس ١٣، ٤-٨)

الجهد المقترح للشهر القادم

تحضير واجب مجالسة يتمحور بشكل خاص حول هذا الفصل.

نصوص مختارة حول الفصل الثاني

« إنّ ما يحلم به الإنسان الذي يحبّ هو إلغاء الفوارق بينه وبين حبيبه بحيث يشكلان كائناً واحداً. إنّه يريد أن لا ينفصل عنه أبداً. وهو يتطلع إلى الشفافيّة المطلقة وحتى إلى الاندماج.

بيد أنّه يتعدّر بشرياً تحقيق هذا المثل الأعلى. لا شك أن ميول كلّ من الزوجين تتأثر بميول الآخر وأنّ طريقة حياة مشتركة تترسّخ بينهما... حتى إنّه يشاهد في بعض الأحيان أنّ شخصين مرّ على زواجهما أمداً طويلاً يصبحان في النهاية متشابهين.

غير أنّ هناك فوارق تبقى لا يمكن التقليل من أهميتها، مع أنّها تشكل بحد ذاتها مصدر إنماء متبادل بين الزوجين. فالشفافيّة بينهما لا تصبح أبداً كاملة إذ يحتفظ كلّ منهما بقسط من السريّة تجاه الآخر. الحب ليس وحدة، إنّه اتّحاد. »

(ب. ف. مونفور)

« أليس الحبّ بكلّ بساطة هو المساعدة على الحياة؟ باستطاعتنا القول، بلا شك، إنّ الحب هو عدم الكفّ عن عقد الآمال على شخص بسبب المسيح. »

(السيدة هوبني)

التكامل:

« إنّ الشخص الذي يخشى أن يتعرقل نموّه بسبب زوجه هو شخص يثير الشفقة، ولا يسعني إلا أن أشكّ في قوّته، فالكائن الذي له وجود لا يخشى أن يخنقه زوجه، بل يتوقع منه مساعدة أو تكاملاً أو حتى إسهاماً

حاسماً. إنّه يعلم أنّ الإنسان يجد نفسه عن طريق نسيان ذاته وإشراك زوجته بأفكاره ورغباته وأحلامه وطموحاته. فإذا بقي منطويّاً على نفسه، فماذا يستطيع أن يحاول وما هي المخاطر التي بوسعها أن يعرّض نفسه لها؟ إنّه يريد أن يُفْلِح (بالمعنى الخالص للكلمة) كي يحظى بتقدير ذلك الشخص الذي يضعه في معزل من جميع الكائنات الأخرى.»

(ج. بوربون بوسى، رسالة الى لورانس، صفحة ٨٣-٨٤)

« أيتها الرجل، إذا وَضَعْتَ خاتم الزواج في إصبع هذه الفتاة ولم تعطها سوى ما يكفيها لتحمّل الابن الذي ستلده، فاحترس! إذ يوجد فيها، خلف نقابها، عنصرٌ مجهول. إنك لا تعرفها، لا تكثرث بها، لا توجّه إليها الأسئلة، لا تنظر إليها... إحترس! إنّها هنا، تلك المجهولة، إنّها هنا، فتاة صغيرة، مكتنفة بالأسرار، مغمضة العينين، إنّها هنا، وحيدة، فارغة، ظمّانة...»

إحترس! إذ يدور في الظلّ حولها ريح التعاسة وحزن الخريف والبحيرة الشاحبة المرتعشة بين الأعشاب وأنين الطير الذي يمرّ ورائحة بلد بعيد يبحث عنها ويناديها وكآبتها في بيتك وعزلتها بين يديك...

إحترس! سيأتي من ينظر إليها خلسة ويعرفها وهي المجهولة، ويعثر عليها وهي المفقودة، وينضمّ إليها وهي المنفيّة، ويحبّها وأنت لم تشاهدها قط، وبأخذها وهي معروضة للأخذ، ويسحبها وهي التي لم تستطع أنت أن تمتلكها... إنها الفتاة السريّة الصغيرة الأسيرة في زواجها منك...

سيتركها لك زوجة فارغة، سيترك لك يديها الكادحتين، سيترك لك ثيابها التي تمشي وجسدها الذي ليس سوى لباس أكثر ثقلاً...

سيترك لك تلك التي تستخدمها، لكنّه سيسلبك التي لا تحتاج إليها، تلك الفتاة الصغيرة عديمة الجدوى كالنبات البرّي في حقل من القمح... سيأخذها وكأنّه لم يسرق منك شيئاً. «

(ماري نويل، مذكرات حميمة)

الفصل الثالث: الزوجان يبنيان معًا مشاركة حياة وحب

(نصح بإعادة قراءة المقدمة قبل التطرق إلى هذا الفصل)

«لِيُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ.» (يوحنا ١٥، ١٢)

نقترح عليكم، في هذا الاجتماع الثالث، أن تتدارسوا كيف يبني الزوجان معًا مشاركة حقيقية، مع مراعاة كلٍ منهما لشخصية الآخر والاستفادة من الفوارق القائمة بينهما، ومع اتكال كلٍ منهما على الآخر.

والنقاط الثلاث التي نعرض عليكم تناولها هي الآتية:

- العزم على بناء المشاركة.
- ما يستلزمه ذلك من خيارات للزوجين بشأن حياة واحدة بينهما.
- مجالات تطبيق تلك الخيارات.

العزم على بناء المشاركة

بالرغم من الجاذبية السرية التي تدفع كلاً من الزوجين نحو الآخر والتي تشكل العنصر الجوهري في الحب، فإنّ الفوارق القائمة بينهما وأنائيتهم هي عوائق تعرقل بناء المشاركة بينهما.

إنّ عملية البناء تلك لا تنجم بصورة آليّة عن «صعقة الحب» أو عن بركة الأكليل، بل يجب التصميم على إنجازها. لذلك، ورغم ما يعتقد بعض الناس، فلاإرادة دور في الحبّ والزّواج كما نفهمهما.

وفي هذه الناحية بالذات، علينا أن نوّدي مهمّتنا التأسيسية، إذ إنّ كلّ زوجين كانا يشكّلان قبل التقائهما شخصين مستقلين، ثم اعتبارًا من يوم زواجهما استمرّا في العيش جنبًا إلى جنب، غير أنّه ترتب عليهما بالإضافة إلى ذلك أن يؤسّسا تأسيسًا كاملاً «شخصية معنوية» جديدة، وهذه الشخصية هي أسرتهما.

خيارات حياة

يرتكز البناء المشار إليه بشكل خاص على خيارات حياتية يجريها الزوجان معًا. بيد أنّ مفهوم الخيار الحياتي هذا لا يخطر على بال العديد من المتزوجين في أيّامنا، إذ يتصوّرون أنّ السعادة هي الحصول الفوريّ على كلّ شيء، في حين إنّ بناء المشاركة الزوجية بناءً دائمًا يستلزم على العكس

وجود مشروع يكون بمثابة نقطة انطلاق ويجري تكييفه تبعاً للأحداث، ولكن مع مراعاة بعض المبادئ التي تشكل الطابع الجديد لأزواج فرق السيّدة.

مجالات تطبيق تلك الخيارات

هذه المجالات متنوّعة وهي تشكل الأجوبة على أسئلة نستطيع وحدنا طرحها والإجابة عليها زوجاً وزوجةً معاً، ومنها: «أين سنسكن؟ ما هو الدخل الذي نريد تحقيقه؟ (هذا السؤال يؤدي الى طرح مسألة ممارسة الزوجة عملاً مأجوراً) ماذا سنفعل بأموالنا؟ - كم ولد نريد أن ننجب مبدئياً؟ ماذا سنخصّص من حياتنا في سبيل خدمة الغير أو للثقافة ولأوقات الفراغ ... والله؟

ومن البديهي أنّ باستطاعتنا، بل من واجبنا، أن نعيد النظر مع مرور الوقت في الخيارات المذكورة وفقاً لوقائع الحياة (ولادة الاطفال، مغادرة الأولاد، التقاعد...)، علماً بأنّ هذه الخيارات والجهود المبذولة لمراعاتها (في الهدوء..)، بالإضافة إلى حياة الزوجين الروحية والى الأولاد عندما يأتون، تشكل الملائم الذي يوطد المشاركة.

وهكذا تستند السعادة إلى ثلاث قواعد:

- إعطاء كلّ من الزوجين الى الآخر الأولوية في اهتماماته وعزمه على السعي لإسعاده.
- حرص الزوجين على التعاون معاً في بناء المشاركة بينهما وفي تأمين تطورها.
- معونة الله قبل كل شيء إذ إن للمشاركة بعداً روحياً أساسياً.

نصّ

«... إنّ الحبّ بين الرجل والمرأة المتزوجين، وبالتالي وعلى نطاق أوسع، بين أفراد العائلة الواحدة - بين الأبوين والأولاد، بين الإخوة والأخوات، بين جميع الأقرباء - إنّ هذا الحبّ تنعشه وتدعمه ديناميّة داخلية لا تتوقف، ديناميّة تجتذب العائلة نحو اتحاد يزداد عمقاً وشدّة يوماً بعد يوم، بحيث يشكل أساس المشاركة الزوجية والعائليّة ومبدأها.

الاتحاد الأول الذي يتحقق هو الاتحاد بين الزوجين، إذ يصبحان بسبب عهد الحبّ الزوجي، «لا جسدين بل جسداً واحداً» وينموان باستمرار في اتحادهما عبر الوفاء اليومي لوعده العطاء الكلي المتبادل الذي تضمنه سرّ زواجهما.

إنّ هذا الاتحاد الزوجي يغرز جذوره في التكامل الطبيعيّ الكائن بين الرجل والمرأة ويتغذى بعزمهما الشخصي على تقاسم مشروعهما الحياتي برمتّه، أي تقاسم ما لهما وما هما، ما يملكانه وما يتصفان به، وهذا

الاتحاد هو ثمرة ومؤشّر لمقتضياتٍ بشريّة عميقة. أمّا في الربّ يسوع، فالله يأخذ هذه المقتضيات ويثبّتها وينقيها ويرقيها حتى تبلغ كمالها عن طريق سرّ الزواج، وينسكب الروح القدس خلال الاحتفال السريّ بالزفاف ويمنح الزوجين المسيحيين هبة اتحادٍ جديد، اتحادٍ حبّ هو صورة حيّة وحقيقيّة للوحدة الفريدة التي تجعل من الكنيسة جسّدًا واحدًا لا يتجزأ: جسد المسيح السريّ. «

(الشراكة العائلية "Familiaris consortio")

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

- ماذا نفعل لنبني المشاركة الزوجيّة يوماً بعد يوم ونُحدِث فيها الوحدة والانسجام؟
- هل نتقاسم الأشغال الماديّة في قلب بيتنا؟
- هل نرضى القيام بأعمال لا تروق لنا؟ لا سيّما الإصلاحات أو الخياطة أو الدهن أو الجلي إلخ..؟
- ما هي نظرة كلّ منّا إلى حياة الآخر المهنية؟ هل نوزّع أوقاتنا توزيعاً منصفاً بين العمل والعائلة؟ هل نبحث عن التوازن الضروري في حال كون الزوجة موظفة؟
- ما هو الوقت الذي نخصّسه لسائر الناس في التزاماتنا الخارجيّة؟
- هل نقوم باختيار أماكن التسلية والاستجمام بشكل شخصي أو مشترك؟
- ما هي سياستنا كزوجين فيما يعود للنقود وسائر الأموال الماديّة؟ هل ندير ميزانيتنا بالاشتراك؟
- ما هي الحصّة التي خصّصناها من ميزانيتنا لأجل حاجات الآخرين؟ صدقة، اشتراك، معونات مختلفة؟
- تتضمّن ثروتنا، فيما تتضمّنه، النشاط الكتابي والشفهي والتعليم المسيحي وزيارات المرضى... فما هي سياستنا في هذا المضمار؟ هل نحسن إدارة أوقاتنا كي يستفيد منها الآخرون؟
- ما هي المساعدة التي نطلبها من الفرقة؟ ومن الحركة؟
- هل نشهد لمشاركة الحياة والحبّ التي تتكوّن منها الأسرة، هل نشهد لها في هذه الأيام التي يتفكك فيها العديد من الكيانات الزوجيّة؟
- هل يشكل فتح باب منزلنا على مصراعيه إحدى الوسائل المميّزة لشهادتنا؟

نصّ للصلاة

« وأنتم الذين اختارهم الله فقدّسهم وأحبّهم، البسوا عواطف الحنان والرأفة واللطف والتواضع والوداعة والصبر.

إحتملوا بعضكم بعضًا وليصفح بعضكم عن بعض إذا كانت لأحد شكوى من الآخر. فكما صفح عنكم الرب، اصفحوا أنتم أيضًا. والبسوا فوق ذلك كلّه ثوب المحبّة: إنها رباط الكمال. وليسُدّ قلوبكم سلامُ المسيح، ذاك السلام الذي إليه دعيتم لتصيروا جسدًا واحدًا. كونوا شاكرين».

(قولوسّي ١٢، ٣-١٦)

الجهد المقترح للشهر القادم

تضمين صلاتنا الزوجيّة بناء المشاركة بيننا.

نصوص مختارة حول الفصل الثالث

«هناك ثلاث أشياء تشتهيها نفسي، أشياء تروق لله وللبشر: الوفاق بين الأخوة، الصداقة بين الجيران، زوج وزوجة يسود بينهما الوئام.»

(سفر الجامعة ١، ٢٥)

«... أحبّوا بعضكم بعضًا ولكن لا تقيّدوا المحبة بالقيود بل لتكن المحبة بحرًا متموجًا بين شواطئ نفوسكم. إملاؤا كلّ واحدٍ منكم كأس رفيقه، ولكن لا تشربوا من كأس واحدة. أعطوا من خبزكم كلّ واحدٍ للآخر ولكن لا تأكلوا من الرّغيف الواحد.

غنّوا وارقصوا معًا وكونوا فرحين دائمًا، ولكن فليكن كلّ منكم وحده، كما أنّ أوتار القيثارة يقوم كلّ منها وحده ولكّنها جميعًا تُخرج نغمًا واحدًا.

أعطوا كلّ منكم للآخر، ولكن حذار أن يكون هذا العطاء لأجل الحفظ، لأنّ يد الحياة وحدها تستطيع أن تحنّظ بقلوبكم.

قفوا معًا ولكن لا يقترب أحدكم من الآخر كثيرًا: لأنّ عمودَي الهيكل يقفان منفصلين، والسنديانة والسروة لا تنمو الواحدة منهما في ظلّ الأخرى...»

(جبران خليل جبران: النبي)

الحبّ الزوجيّ

«ليس العطاء بين الزوجين اندماجًا، فشخصية كلّ منهما تبقى متميّزة ولا تنحلّ في العطاء المتبادل، بل تتوطد وتصفو وتنمو كلما طالّت الحياة الزوجيّة، وفقاً لقانون الحبّ الذي يفرض على الزّوجين أن يهب كلّ منهما نفسه للآخر حتى يهبها نفسيهما معاً إلى الآخرين.

الحبّ بالفعل هو الملاط الذي يعطي المشاركة الحياتيّة متانتها، إنّه الانطلاقة التي تقودها نحو الكمال. إنّ كيان الانسان بكامله يساهم في الحب، في عمق سرّه الشخصي وأعماق مرّكباته العاطفيّة والحسيّة والجسديّة والروحيّة، إلى أن تتشكل صورة الله التي أوكل إلى الزّوجين مهمّة تجسيدها على مرّ الايام، فيرسمونها بأفراحهما وشدائدهما. ولا أصحّ من القول: «الحبّ هو أكثر من حب».

لا يوجد حبّ زوجيّ إلاّ وتحول في تهلّله إلى انطلاقةٍ نحو اللانهاية وعزمٍ على أن يكون في انطلاقته كاملاً، وفيّاً، مانعاً لسواه، وخصباً. ومن هذا المنظور بالذات، تجد الشهوة معناها التام، فالوصال بين الزّوجين، إذ هو وسيلة تعبير مثلما هو وسيلة معرفة واتحاد، يصون الحب ويرسخه ويقود الزّوجين، اذا ما اقترن بالخصوبة، إلى كامل ازدهارهما وتفتّحهما فيصبحان مصدر حياة على صورة الله.

والمسيحيّ يعلم أنّ الحبّ البشري جيّدٌ من أصله، وأنّ المسيح ينقذه ويحييه اذا ما تعرّض للأذى والتشويه بسبب الخطيئة، مثلما يتعرّض كل ما في الإنسان.

وبطبيعة الحال، أليس ذلك ما تعلمناه من عشرين قرناً من التاريخ المسيحيّ؟

ما أكثر المتزّوجين الذين وجدوا طريق القداسة في حبّهم الزوجيّ وفي هذه المشاركة الحياتيّة التي هي الوحيدة التي بنيت على أحد الأسرار الالهية ...

الفصل الرابع: الزوجان يتبادلان هبة الجسد

(نصح بإعادة قراءة المقدمة قبل التطرق إلى هذا الفصل)

« أنا لِحَبِيبِي وَأَشواقه إِلَيَّ... » (نشيد الأناشيد ٧، ١١)

نقترح عليكم وأنتم تدرسون هذا الفصل الرابع أن تتفحّصوا كيف تعيشون العلاقة الجنسيّة على المستوى الزوجي، آخذين بعين الاعتبار ما يلي:

- تُعطى العلاقة الجنسيّة المكانة التي تستحقها، إنّما مع الوعي الكامل لكونها لغة في خدمة الحبّ (وليس ت شيئاً مطلقاً)، ويجب ربطها ببقية جوانب الاتحاد الزوجي، لا سيّما الجانبين النفسي والروحي.
- لا يغيبنّ عن البال أنّ العديد من الأزمات الزوجيّة تنجم عن كون الزوجين لم يعيشا علاقتهما الجنسيّة بشكل سليم، وأنّ الهدف الأول للزواج هو تحقيق نموّ الزوجين.
- يجب أن نقدّر حق التقدير في هذا المجال، أهمية دورنا كشهود للحبّ الحقيقي في هذا العالم حيث أصبح الناس في غالب الأحيان يعتبرون الحياة الجنسيّة غاية في حدّ ذاتها أو يضيفون عليها طابع الابتذال، إن لم نقل طابع الانحراف والشذوذ.

أمّا المسائل المتصلة بإنجاب الأطفال، فستبحث في الاجتماع السادس، إذ إنّ الاجتماع الحالي مخصّص رئيسياً للعلاقة الجنسيّة ذاتها.

إنّ كلّ زوجين شخصياً يشكّلان كياناً مستقلاً، لذلك يقتضي تناول الموضوع بإجابتهما على الأسئلة التالية (وعلى غيرها عند اللزوم). إلا أنّنا رأينا التركيز على النقاط الأربع الآتية:

- الوصال الجنسي هو الوسيلة الأكمل للتعبير عن الحبّ. ويمكن القول إنّ أساس رابطة سرّ الزواج بحيث إنّ الزواج يعتبر باطلاً إذا لم يقترن بالوصال. هذا الاتحاد بين الجسدين يتعلّق بصميم كياننا وهو يستطيع بل يجب أن يساهم في تأمين سعادتنا في العمق.
- المجال الجنسي هو المجال الذي تبرز فيه على أوضح شكل الفوارق بين الرجل والمرأة، وهي فوارق رائعة حدّ ذاتها لأنّها مصدر تكامل وازدهار، لكنها تبقى مهملة أو غير معترف بها في العديد من الأحيان، مما يفسح في المجال أمام حدوث تباين وعدم تفاهم بين الزوجين.
- الانسجام الجنسي هو بناء دائم ويستوجب المتابعة المستمرة وأحياناً الصبر الطويل.
- يبدو في هذا الخصوص – وهو أمر ينطوي على تناقض ظاهري – أنّ الحوار بين الزوجين نادر وسطحياً نسبياً، وقد يكون التفكير حول هذه النقطة مفيداً.

نصّ

«إنّ جسد الإنسان الذي جُعل منذ البدء ذكرًا وأنثى ليس فقط مصدر خصوبة بل هو يتّسم منذ البداية بطابع زوجيّ، بمعنى أنّه قادر على التعبير عن الحبّ الذي يتحوّل بموجبه الإنسان كشخصٍ إلى عطاء، فيؤكد المعنى العميق لكيانه الحقيقيّ ولوجوده بالذات.

وهذه الميزة تجعل من الجسد تعبيرًا للروح وتدعوه في سرّ التكوين نفسه إلى أن يشترك في سرّ الاتحاد الذي يجعل الناس على صورة الله. »

يوحنا بولس الثاني (١٩٨٠/٧/٢٣)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

ملاحظة هامة: يتطلب هذا الموضوع شفافية تامة عندما يُبحث على مستوى الزوجين، ولكّنه، على العكس، يستلزم الكثير من البصيرة عندما يبحث على صعيد الفرقة إذ لا يجوز أن يؤدي الاجتماع إلى انتهاك حرمة الزوجين أو إلى المساس بشعور الأعضاء الذين يعانون من بعض المصاعب.

- هل نحن مقتنعون تمامًا بأن اتحاد جسدينا هو مصدر ابتهاج وازدهار وأنّه يشكل وسيلة مميزة للتواصل فيما بيننا لأن الله هو الذي أسّسه؟
- وهل نعي، مع ذلك، أنّه لعة لا غاية بحدّ ذاتها؟
- هل يسعى كلّ منّا أولاً إلى تحقيق ازدهار زوجه؟
- هل لدينا الجرأة على مناقشة هذا الموضوع بصراحة؟
- هل نحرص على وضع علاقتنا ضمن جوّ عاطفي ونفسي ملائم، متحاشين الرتابة في نفس الوقت؟
- هل ننتبه إلى حاجات ونداءات من نُحبّ، سواء تمّ التعبير عنها أم لا؟
- هل نفكّر في الربط بين علاقتنا الجنسيّة وحياتنا الروحيّة؟ مثلاً، شكر الله بعد ممارسة الحب؟
- إذا حالقنا الحظ ونعمنا بحياة سعيدة ومنشركة، ماذا نفعل لنخبر العالم (مع مراعاة جانب التحفظ) بهذا النبأ السار: إمكانية عيش العلاقة الجنسيّة مسيحيًا؟
- وإذا كُنّا بالعكس نواجه بعض الصعاب، هل نسعى معًا للتغلّب عليها؟ (علمًا أنّ بالإمكان استشارة مسيحيين أخصائيين في الأمور الجنسيّة).
- على الصعيد الجنسيّ، هل ندع بعض الأفكار التي تروّجها وسائل الإعلام تؤثر علينا أو تشوّشنا؟ (في حين إن العلاقة الجنسيّة مسألة شخصيّة تخصّ الزوجين ولا يوجد نموذج موحد لها...)
- ما هي المساعدة التي نطلبها من الفرقة؟
- ما هي المساعدة التي نتوقعها من الحركة (يمكن عند اللزوم أن تتولّى الفرقة جمع المقترحات والحاجات وإرسالها إلى أمانة سرّ الحركة).

- ما هي المساعدة التي نطلبها عند الاقتضاء من مركز ارتباط فرق الأبحاث أو من حركات أخرى متخصصة؟ (هذا المركز هو عبارة عن حركة نشأت أصلاً من فرق السيدة واختصت في الإعلام العاطفي والجنسي، لا سيما بالنسبة للشباب، وفي الاستشارات الزوجية).

نص للصلاة

« أما قرأتكم أنّ الخالق منذ البدء جعلهما ذكرًا وأنثى وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الإثنين جسداً واحداً. فلا يكونان اثنين بل جسداً واحداً. فلا يفرقن الإنسان ما جمعه الله. »
(متى ١٩، ٤-٧)

الجهد المقترح للشهر القادم

أن يتمحور واجب المجالسة حول الجانب الجنسي من حياتنا الزوجية والعلاقة بين ما هو جسديّ فيها وما هو روحيّ.

نصوص مختارة حول الفصل الرابع

« إنّ التكامل المحتّم بين الذكر والأنثى قد تمّ التعبير عنه بشدة في سفر التكوين من قبل الله نفسه. تلك هي النقطة التي يجب الانطلاق منها... »
(ج. دي بوربون بوسى: رجلا وامرأة خلقهما الله)

« الحياة الجنسية الناجحة تعني تبادل الحب والإفصاح عنه وإبرازه، إنها تستوجب أن يكون كلّ من الزوجين مصدر متعة للآخر لأنّ أيّاً منهما لا يستطيع الاكتفاء بذاته بل يحتاج الى الآخر. هذا ما أراده الله الخالق. وإذا كان الله قد خلق المتعة الجنسيّة، فليس من باب الخطأ أو الصدفة.

الحياة الجنسيّة الناجحة هي أيضاً تضرّع إلى الله، الذي هو حبّ، لكي يساعدنا على أن نحبّ بشكل أفضل، وهي فعل شكرٍ لله لأنّه أتاح لنا أن نعيش لحظات من الخلود (بيد أن الصلاة لا تقوم مقام المعالجة عند وجود مشكلة معيّنة، والمعجزات استثنائية...)

الحياة الجنسية الناجحة هي استسلام كلّ من الزوجين للآخر وتلقّي استسلامه... »

(ل. ج.، طبيب اخصائي بالشؤون الجنسية ومستشار في الأمور الزوجية، وهو أب لخمسة أولاد)

« الحبّ لا يعطي إلا نفسه ولا يأخذ إلا من نفسه. الحبّ لا يملك شيئاً ولا يريد أن يملكه أحد، لأنّ الحبّ يكتب بالحبّ.

أمّا أنت إذا أحببت فلا تقل: «إنّ الله في قلبي» بل قل بالأحرى: «أنا في قلب الله». ولا يخطر لك البتة أنّك تستطيع أن تتسلط على مسالك الحبّ، لأنّ الحبّ، إن رأى فيك استحقاقاً لنعمته، يتسلط هو على مسالكك... »
(جبران خليل جبران: النبي)

« يتصور بعض المتزوجين أنّ كلمة صغيرة يقولها الرجل أو المرأة في سريرهما المشترك تكفي لإرساء الصلح بينهما. يا له من خطأ جسيم! إذ تبقى نفس المشاكل قائمة بينهما. إنّ الحنان الكامن في اللفات اليومية هو الذي يصقل في النهاية خشونة الطبع عند كلّ من الزوجين، كما أنّ ضرورة مواجهة شتى مصاعب الحياة العائلية والمهنية هي التي تجعلهما يدركان أنّ الخلافات بينهما لا تشكل شيئاً بالمقارنة مع حاجتهما الماسّة لبعضهما البعض. وعندما يبلغان هذا الحدّ من التفاهم، يسود بينهما جوّ من الدعابة والفكاهة وتفقد فورات الغضب طابعها الجدّي، وتصبح شعائر الغرفة الزوجيّة حافلة بالرقّة والهدوء. وإذا حدث أن جرد أحدهما من الآخر - وهذا أمر محتمل- تأتي الصلاة المشتركة لتوفّق بينهما، وسيكون وضعهما شاذّاً إذا أدياها وهما على حالتهما من الحرد، فالحبّان هنا يندمجان مثل قبلتين، حبّ الرّوح وحبّ القلب. فليحيا الزواج! الزواج ليس الجتّة، ولكنّه الطريق المؤدي إليها، طريق ممتلئ شمساً ومطرًا.

(ج. سرنيون: المصالحة فوق الوسادة)

الفصل الخامس: الزوجان يعيشان يوميًا سرّ زواجهما

(ننصح بإعادة قراءة المقدمة قبل التطرّق إلى هذا الموضوع)

«إنّ هذا السرّ لعظيم وأعني به سرّ المسيح والكنيسة» (أفسس ٥، ٣٢)

(نقترح عليكم وأنتم تدرسون هذا الفصل الخامس أن تتناولوا جانب «السرّ» في الزواج).

قالت «جورجيت بلاكبير» عن السرّ (بصورة عامة): إنّه حقيقة بشريّة يختارها الله ويستحوذ عليها ليحتفظ بها ويجعلها مقدّسة بروحه فتصبح علامة لحقيقة روحية.

وسرّ الزواج يندرج تمامًا في هذا التعريف، وبالفعل:

- إنّه تكريس الرجل والمرأة لله في وسط حنانهما البشريّ، وكلمة «نعم» التي يتبادلانها خلال الزفاف تشكل العلامة المرئية لسرّ الزواج مثلما يشكل الخبز العلامة المرئية للقربان المقدس.
- اختار الله الحبّ البشري الذي هو حقيقة جسديّة، ليقدّسه ويجعل منه علامة حبّه.
- يتعهد الرجل والمرأة في هذا التكريس بأن يُحبّا مثل الله (حسب قدرتهما...) أي أن يُحبّا بوفاء وبدون حدود وأن يغفرا مثلما يغفر الله، في حنان مستمرّ.
- إنّ الحبّ البشري، بوصفه هبة من الله، هو ممكن دائمًا بمعونته تعالى رغم ما يكتفنه من فشل. فعندما تزوّجنا، لم نتزوّج «مثل الآخرين»، إذ كرّسنا زواجنا لله. فالله تعالى يعمل في زواجنا ويعطينا نعمته ويساعدنا، زوجًا وزوجة، على أن يحبّ كلّ منا الآخر ويغفر له ويبقى وفياً له، كما يساعدنا على أن نتجدّد باستمرار ونتجاوز أنفسنا وننجب الأولاد...
- وبذلك يصبح كياننا الزوجي في عيون الناس العلامة الحيّة لحبّ الله، فيتحوّل إلى «حب بلا رجوع».
- بعد ذلك، نغوص في حقيقة سرّية تتخطانا ونبقى مغمورين فيها إلى الأبد.

نص:

« تُبنى المشاركة الزوجية على توافق الزوجين أي على رضاها الشخصي القطعي. وبذلك، وفي نظر المجتمع، تتكوّن مؤسسة تؤيّدُها الشريعة الإلهية، مؤسسة تنبع من عملية العطاء والقبول المتبادلة التي يقوم بها الزوجان... إنّ هذه الرابطة المقدّسة لا تعود خاضعة لنزوة الإنسان لأنّ الله بذاته هو صانع الزواج. فمثلما أخذ الله في الماضي زمام المبادرة وأقام عهداً محبّية ووفاء مع شعبه، كذلك يأتي اليوم مخلصُ البشر وعروسُ الكنيسة ليُلاقِي الزوجين المسيحيين في سرّ الزواج، ويبقى باستمرار معهما حتى يستطيعا، عن طريق العطاء المتبادل، أن يحبّ كلّ منهما الآخر في وفاءٍ أبدي، كما أحبّ هو الكنيسة وبذل نفسه لأجلها... ("الكنيسة في عالم اليوم")

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحصير الاجتماع الشهري).

- هل ننظر إلى الله على أنّه الصخرة التي نريد أن نبني عليها مشاركتنا؟
- هل نشعر بأننا "كنيسة صغيرة" بسبب كوننا معمّدين ومتزوجين؟ هل نعتبر أنّ زواجنا شأن من شؤون الله؟ ما هي المكانة التي نخصّصها له في كافة أمور حياتنا المشتركة؟
- كيف ننعش تكريس كياننا الزوجي لله بالزواج وفيه؟ بواسطة الصلاة الزوجية؟ أو بتناول القربان المقدس معاً؟ أو بقراءة كلام الله؟ هل نعدّ أحياناً إلى إعادة قراءة النصوص الليتورجية أو العظة التي تُلّيت في الاحتفال بزفافنا؟
- هل تشكل الذكرى السنوية لزواجنا يوم عيد لنا؟ أم مناسبة احتفال؟ أم يوم شكر لله؟
- هل نشعر فعلاً بأننا مسؤولون عن «الصورة الرفيعة» لله الذي هو حبّ، ولسرّ هذا الحبّ؟
- ما هي المساعدة التي نتوقعها من الفرقة لندخل بصورة أعمق في سرّ الحبّ؟
- ما هي المساعدة التي ننتظرها من الحركة في هذا المضمار؟
- هل نحرص على الإفادة من كلّ ما تقدّمه لنا الفِرَق: وثائق، فرص للتجدّد (رياضات روحية، دورات، قراءات متعلقة بدراسة الموضوع...)
- هل نحرص على تجديد معلوماتنا في مجال الزواج؟
- هل نهتم بمساعدة الآخرين على اكتشاف ما اكتشفناه؟ ما هي المبادرات التي قمنا بها في هذا الخصوص، على صعيد الفرقة والأسرة أو بالتعاون مع حركات أخرى عند اللزوم...

نص للصلاة

« أيها الأحباء، فليحب بعضنا بعضاً لأنّ المحبة من الله وكلّ مُحبٍ مولودٌ لله وعارفٌ بالله لأنّ الله محبة. فاذا أحب بعضنا بعضاً أقام الله فينا وتمّت محبته فينا... الله محبة، من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه...» (١ يوحنا ٤، ٧ و٨ و١٢)

الجهد المقترح للشهر القادم

- قراءة نصوص متعلقة بسرّ الزواج والتأمل فيها.
- إعادة قراءة المشروع الذي انطلقنا منه (إن وجد) وإعادة قراءة نصوص احتفال الزواج (إذا كنا نحفظ بها).

نصوص مختارة حول الفصل الخامس

«السرّ هو ملاط زواجنا وعنصره المثير... يحبّ الزوجان بعضهما بعضاً، ليس لأجل المنافع التي يقدّمها كلّ منهما إلى الآخر بل لأجل عظمة ذلك الذي يحبّهما حباً روحياً ومحسوساً ومنفتحاً على حب الله... الحبّ الزوجيّ وحده يستطيع أن يعبر عمّا هو مقدّس في الحبّ... سرّ الزواج هو السرّ الذي يجعلنا نكتشف عرس يسوع والكنيسة، وهو لم يتأسس لنجاح الحبّ البشريّ فحسب، بل لكي يستطيع يسوع أن يُسمعنا كلامه وإعلانه العرس الأبدي... وحده الإيمان يستطيع أن يُنضج الحبّ...»

(الأخ فيليب-ماري، "إلى الفرق"، فرساي، تشرين الأول ١٩٨٧)

« سرّ الزواج هو «معمودية الزوجين»، فالكيان الزوجي والكيان العائليّ مبنيان على الحبّ، وسرّ الزواج هو حبّ معمد... ليس الكاهن هو الذي يزوّج بل العريس والعروس هما اللذان، بقولهما «نعم»، يلدان كيانهما الزوجي^١ ويعمدانه كأته ولدهما... يجب التمييز بين الحبّ والزواج والسرّ، وإتي، من جهتي، أسميّ الأول الحبّ المُشاهد، والثاني الحبّ المعقود (أو المسجل) والثالث الحبّ المقدّس. وهذه الفئات الثلاث تشكل ثلاث مراحل من مراحل الحبّ، فمشاهدة الأمر شيء، وتسجيله بموجب عقد شيء آخر، وتعميده هو شيء ثالث. بيد أنّ مسؤوليتنا تنعزز في معمودية الكيان الزوجيّ الذي تعمد بسرّ الزواج، وكلّ ما ينبع منه يتصف بطابع فائق الطبيعة...»

(ب. كودرو)

« هل أحدتكم عمّا يهمننا أنا وزوجي أكثر من أي شيء آخر؟ نعم، أقول: أنا وزوجي، إذ إنني في حياتي كمرأة وقبل كلّ شيء، أعتبر أنني زوجة «جان». فبالقرب منه وبرفقته، يقودني الله على طريقيّ البشريّة التي يضيئها الخلود منذ الآن، وبدون زوجي أكون مبتورة من أفضل ما لديّ. وأعلم أنّ العكس صحيح.

١ - في الكنائس الغربية لا الشرقيّة.

نعم، الزواج مقدّس، إنّه لسرّ عظيم، وفيه يسكب يسوع روحه الممتلئ حُبًا وحنانًا في رجل وامرأة يستسلمان إليه كليًا، ثم يصبحان في قلب حبّ الله، في هذا الاتحاد الحميم الذي يجمع بين يسوع وهذا الرجل وهذه المرأة في الزواج. «

(لوسيت ألنجران)

« صديقك وصديقتك يا ربّ، يحفظان لك مكانك في قلبهما على مائدة عرسهما. تعال واجلس، إنّها أقرب مائدة، تعال وانزل عندهما، فهما يعرضان عليك أن تكون ضيفًا مقيمًا.

لهما قلبٌ واحدٌ يرفعانه إليك، على مائدتهما كأسٌ يتفاسمانه وأنت أول من يشرب منه! يقرّبانه من شفقتك، فادخلْ أكثر فأكثر في احتفالهما واشربْ نخب فرحتهما، نخب حبّهما.

أظهر لهما فرحتك أنت أيضًا فقد عهدت إليهما بإيمانك، وهما متعطشان إليك! إجعلهما يكتشفان، ما دمت أنت مَحَطَّ حبّهما، أنّك أنت الذي تستقبل فعلاً من محلّك فيهما.

كلّ منهما يأخذ نَفْسَ الآخر فيصبحان نَفْسًا واحدًا يبحث عن نَفْحَتِكَ! دعهما يسمعانك تقول: اشربا معًا من كأسِ أطيب خمر، خمر النهاية.

هل تعلمون عند مَنْ أنتم الآن، ولماذا أتكلّم هكذا عن أصدقائي؟ لأنّي جهّزت لهم أماكنهم على مائدة عيدي، إذ أنا أيضًا أنتظر الاحتفال بعروسي. «

(لاتوردوبان: ترتيلة الزواج)

الفصل السادس: الزَّوجان يريدان إنجاب الأولاد

(ننصح بإعادة قراءة المقدّمة قبل التطرّق إلى هذا الفصل)

« المرأة عندما تلد تنسى شدّتها لفرحها بأنّه قد وُلد إنسان في العالم.»

(يوحنا، ١٦، ٢٠)

(نقترح عليكم وأنتم تدرسون هذا الفصل السادس أن تتقّصوا كيفية اضطلاعكم برغبة الخصوبة لديكم).

المقصود بالخصوبة أوّلاً إنجاب الأطفال وهي الهدف الثاني للزّواج (الهدف الأول هو ازدهار الزّوجين) كما أنّها قانون الحياة. والمقصود أيضاً ما للخصوبة من أبعاد أخرى، للأسر كافة من جهة، وللذين حُرّموا من الخصوبة الطبيعية من جهة أخرى. وهذا النمط الثاني من الخصوبة يتعلق بشكل خاص بما نصنعه لأجل الآخرين بمختلف الطرق. ولا شك أنّنا سنُدان على هذا الصعيد أيضاً، فيجب علينا أن نتفحص في كلّ مناسبة ما حقّقناه في موضوع «الخصوبة لأجل الآخرين».

هذا ويرمي هذا الفصل بوجه خاص إلى التفكير في موضوع الخصوبة بحسب الجسد. ونقول في هذا المضمّار إنّّه لا يمكن فصل الدراسة التي سنقوم بها اليوم عن دراستنا السابقة لمسألة اتحادنا الجسديّ والروحيّ.

وقبل التطرّق إلى الأسئلة الواردة في مكان لاحق من هذا الفصل، نقترح عليكم أن تتأمّلوا، زوجاً وزوجة معاً، في النقاط الآتية:

- الولد هبة من الله واستقبال للحياة، إنّّه في آن واحد فعلٌ إيمان ورجاء وحبّ.
- بالنسبة لموقفنا تجاه تعاليم الكنيسة بهذا الشأن، فيجب أن يكون موقف إصغاء وقبول، موقفاً بعيداً عن نزعة الشرعيّة المؤدّية إلى الشعور براحة الضمير (كالقول مثلاً: عظيم! الأمر يسير سيراً حسناً بالنسبة لنا، لن يكون لنا سوى ولدين مع بقائنا متقّدين بالتعليمات...)، موقفاً بعيداً أيضاً عن الرفض (كالقول مثلاً: القضية هي من شأننا نحن... ما بال البابا يتدخّل...)

الولد هبة من الله

إنّ إعطاء الحياة للولد أمر يتصل، مثل حبّنا، بما هو رائع وسريّ وبالتالي بما هو إلهي. يطلب الله ممّا أن نتعاون معه لأجل تعمير الأرض «بأبناء» جدد له (وهذا موقف بعيد كلّ البعد عن موقف الذين «يصنعون الولد لإرضاء أنفسهم»).

في الظروف الراهنة التي تجعل المعيشة صعبة، يشكل إنجاب الطفل فعلٌ إيمان بالله، بحبّنا، بالطفل ذاته. إنّّه أيضاً فعلٌ رجاء في العناية الإلهية وفي الحياة، إنّّه فعلٌ انتمن. فإذا كان الله قد طلب إلينا أن نكون مساعدين له في الخلق، فيمكننا أن نثق بأنّه سيمدّ لنا يد العون. غير أنّ ذلك لا يشكل «بوليصة تأمين ضدّ جميع الأخطار»، ضدّ المشاكل المتصلة بالولادات. وهو أخيراً فعلٌ حبّ، إذ نجد أنّ الحياة والحبّ جديران بأن يعيشهما المرء، ونعي وجود الروائع التي يصنعها الله لأجلنا، فمرغّب في أن يستفيد منها كائنٌ صغير مولود من لحمنا ودمنا.

يُستنتج ممّا تقدّم أنّ الكنيسة تقتصر في تعاليمها على تذكيرنا بأنّ الله هو الذي يهب الحياة بواسطتنا، وبالتالي فإنّ موانع الحمل التي ترمي إلى إعاقة عملية إعطاء الحياة لا تعتبر متفّقة مع النظام الطبيعي للخلقة.

بالمقابل، فإن طرق تنظيم الولادات التي تحترم النظام الطبيعي وتستخدمه هي طرق مشروعة تمامًا، وضبط النفس الذي يتطلبه تطبيقها يعيد إلى أذهاننا أهمية الوصال الذي لا يجوز أن نُعرّضه للابتدال أو الانحراف. وخالصة القول إنّ تعاليم الكنيسة المتعلقة بالخصوبة لا تستهدف سوى جعلنا نعي كرامة أشخاصنا وأجسادنا، وهذه هي الزاوية التي يجب أن نتطرّق من خلالها إلى دراسة الطرق الطبيعية لضبط الولادات.

نصّ:

« الزواج والحبّ الزوجيّ منظّمان تلقائيًا لأجل الإنجاب والتربية. فالأولاد هم أفضل ما يعطيه الزّواج، وهم يساهمون مساهمة كبيرة في سعادة الأهل أنفسهم. وعندما بارك الله أوّل رجل وأوّل امرأة، قال لهما: «انموا واكثروا واملأوا الأرض» (تكوين ١، ٢٨). لذلك، فالحبّ الزوجيّ، إذا كان حقيقيًا وإذا ما أحسن فهمه، وبدون التقليل من أهمية بقية أهداف الزواج، يجعل الزّوجين جاهزين لكي يساهما مبتهجين في حبّ الخالق الذي يريد بواسطتهما أن يوسّع عائلته باستمرار.

إنّ الزّوجين، في نطاق واجب نقل الحياة المترتب عليهما، يعلمان أنّهما يتعاونان مع الله، ويتعيّن عليهما في جو من الاحترام والطاعة، أن يتخذا قرارًا سليمًا، آخذين بعين الاعتبار في آن واحد مصلحتهما ومصلحة أولادهما الحاضرين والمستقبلين، وأن يميّزا الشروط المادية والروحية للمشاركة العائلية ولحاجات المجتمع الدنيوي والكنيسة ذاتها، وينبغي عليهما بالذات أن يضعوا الصيغة النهائية لهذا القرار أمام الله.

ومن بين الذين يؤدّون على هذا النحو المهمة التي كلفهم بها الله، نخصّ بالذكر هؤلاء الذين يقبلون، متفقين في الرأي ومتحلين بالرزانة والتعقل، أن يربّوا بكل طيبة خاطر وبكل كرامة عددًا أكبر من الأولاد.

ومع ذلك، فالزّواج لم يتمّ انشاؤه فقط لأجل إنجاب الأولاد. ولكن ما يؤسّسه الزواج من عهد لا يقبل الحلّ بين الزّوجين يتطلب نموّ الحبّ وازدهاره. كما أنّ منفعة الأولاد أيضًا تتطلب ذلك. لهذا السبب، وحتى إذا لم يُنجب الزّوجان أولادا خلّاقًا لأعرّ أمانيهما، يبقى الزّواج بمثابة مشاركة واتحاد مدى الحياة ويحتفظ بقيمته وعدم قابليته للفسخ..»

(«الكنيسة في عالم اليوم»، العدد ٥٠)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزّوجين أولاً، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلًا خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

- ما هو موقف أسرنا إزاء عطاء الحياة، مع علمنا بأنّ الولد هو هبة من الله وأنّ الله يطلب منا أن نتعاون معه؟
- كم ولد نريد مبدئيًا؟ هل نحن منفتحون على احتمال مجيء ولد غير متوقع؟
- قبل أن نقرّر إنجاب الولد، هل نأخذ بالحسبان عناصر معيّنة كالتوازن أو الصحة أو الموارد أو المهنة أو السكن أو الوثوق في العناية الإلهية...؟
- هل نحن عازمون في هذا المضمار على اتباع برمجة دقيقة؟ أو على الاستسلام التامّ لمشيئة الله؟ أو هل نفضّل اتباع «نظامٍ مختلطٍ»، كأن نطبّق مثلًا طريقة لضبط الولادات لا يُستبعد فيها ورود مولود بالصدفة؟

- ما هي خيارتنا بالنسبة لمسألة ضبط النسل؟ هل نحرص على الإصغاء إلى تعاليم الكنيسة بهذا الخصوص؟ بل هل نعرف تلك التعاليم؟
- هل نسعى إلى جعل حياتنا متففة معها؟
- هل للحياة الروحية دورها في تحديد خيارتنا المذكورة؟
- إذا كنّا غير قادرين على إنجاب الأولاد لسبب من الأسباب، ما هي ردة الفعل لدينا؟ إلى أيّ مجال نحوّل رسالة الخصوبة عندنا؟
- ما هي مكانة التقشّف في حياتنا (المقصود بالتقشّف هنا الجهود المبذولة لإزالة العوائق أمام الحبّ الحقيقي).
- ما هي المساعدة التي نطلبها في هذه المجالات: من الفرقة؟ من الكنيسة؟ من حركة فرق السيدة (يمكن عند اللزوم تقديم طلبات محددة وخطيّة إلى الحركة)؟ إلى حركات أخرى كمركز الارتباط لفرق الأبحاث (أمسيات إعلامية حول الطرق الطبيعية لضبط النسل مثلاً)
- أية صورة للمسيحية ننقل إلى العالم في هذا المجال؟

نصّ للصلاة

« أيّها الربّ سيّدنا، ما أعظم اسمك في الأرض كلّها!
 لأعظّم جلالك فوق السموات.
 بأفواه الأطفال والرّضع أعددت لك حصناً أمام خصومك
 لتقضي على العدوّ والمنتقم.
 عندما أرى سمواتك صنع أصابعك والقمر والكواكب التي ثبتّها.
 ما الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟
 دون الإله حطّطته قليلاً، بالمجد والكرامة كلّته.
 على صنع يديك وليّته، وكلّ شيء تحت قدميه جعلته.
 الغنم والبقر كلها وحتى بهائم البرية
 وطير السماء وسمك البحر وما يجوب سبل البحار.
 أيّها الربّ سيّدنا، ما أعظم اسمك في الأرض كلّها! »

(المزمور ٨)

الجهد المقترح للشهر القادم

قراءة "الشراكة العائلية" (Familiaris consortio) ... أو إعادة قراءتها.

نصوص مختارة حول الفصل السادس

«عندما يلجأ الزوجان إلى موانع الحمل الاصطناعية ويفصلان بين هذين المغنيين اللذين وضعهما الله في كيان الرجل والمرأة كما في ديناميكية اتحادهما الجنسي، فإنهما يتصرّفان «كحكّم» لمخطط الله، فيتلاعبان بالشؤون الجنسية البشريّة ويحقرّانها كما يحقرّان شخص كلّ منهما ويشوّهان قيمة العطاء «الكلّي».

وبالمقابل، عندما يطبّقان طريقة الفترات غير الخصبة، محترمين الصلة المتينة القائمة بين وجهي الزّواج، أي الجماع والانجاب، في الأمور الجنسية البشرية، يكونان قد تصرّفا «كوكلاء» لمخطط الله، ويستعملان النشاط الجنسي «كأصحاب حق الانتفاع» وفقاً للديناميكية الأصلية للعطاء «الكلّي»، بدون تلاعب وبدون إفساد».

(«الشراكة العائلية» Familiaris consortio، الفصل الثاني، الفقرة ٣٢)

« يجب أن نتجه دائماً نحو هذا المثل الأعلى المبني على علاقة جنسيّة نسيطر عليها ونراعي فيها طبيعة الجماع الزوجي وغاياته...»

(خطاب يوحنا بولي الثاني الى مركز الارتباط لفرق الابحاث، تشرين الثاني ١٩٧٩)

« إنّ الظروف المادية التي تختلف كلّ الاختلاف عن الماضي بالنسبة للشابّات المعاصرات لا تغيّر شيئاً من جوهر الأبوة والأمومة الذي هو عطاء الذات...»

(مادلين مارتيني، امرأة على مرّ الأيام)

« بما أنّ الإنسان روح مجسّدة أي روح تعبّر عن نفسها في جسد، وجسد تحييه روح خالدة، فأنه مدعوّ إلى الحبّ في كليّته الموحدة. فالحبّ يتعلّق أيضاً بالجسد، والجسد يصبح مساهماً في الحب الروحي...»

(«الشراكة العائلية» Familiaris consortio، الصفحة ٢٦)

صلاة لأجل الاولاد

أيتها العذراء مريم، يا من قدّمتِ ابنك إلى الهيكل، نقدّم إليك هؤلاء الأولاد الذين وهبنا أيّاهم الله. لقد أصبحتِ أمّاً لهم بعد أن نالوا نعمة المعموديّة، لذلك نعهد بهم إلى حنانك وحبّك.

إمنحهم الصحّة واحفظهم من الخطيئة. وإذا اتفق وصلّوا، إدعهم بحبّك كي ينالوا المغفرة ويُعثّوا من جديدٍ إلى الحياة.

ونحن آباءهم وأمّهاتهم، أسعفينا في المهمة التي نؤدّيها لهم. إمنحهم نورك وحبك. علّمينا كيف نفتح عيونهم على كلّ ما هو جميل وأذهانهم على كلّ ما هو حقيقي وقلوبهم على كلّ ما هو جيّد. علمينا كيف نُصغي إليهم ونساعدهم كي يضطلعوا بمسؤولياتهم، دَعينا ننسحب عندما يحين الأوان ليتكفلوا هم بالذات بحياتهم.

وعندما نغيب عن هذه الدنيا فيُحرّمون من محبّتنا، قفي إلى جانبهم واحضنّهم بنظرتك الحنونّة وحافظي عليهم عبّر دروب الحياة حتى يأتي يوم نجتمع فيه كلنا في منزل الرّب. آمين.

الفصل السابع: نتعاون كي ننمو

(ننصح بإعادة قراءة المقدّمة قبل التطرّق إلى هذا الفصل)

«إعتبروا بزنايق الحقل... لا يُهمّكم أمر الغد، فالغد يهتمّ بنفسه ولكل يوم من العناء ما يكفيه...»
(متى ٦، ٢٨ و ٣٤)

(نقترح عليكم، وأنتم تدرسون هذا الفصل السابع، أن تتفحصوا كيف تبنون زواجكم على مرّ الأيام (وربما على مرّ أعمار الحبّ)).

لا «صعقة الحب» الأصليّة (إن كنّا قد أصبنا بها ...)، وحتى لا سرّ الزّواج، يشكلان «تأميماً ضدّ جميع الأخطار»، فالأخطار موجودة: خيانة عهد الزوجيّة، العادات الروتينيّة، تبيّس الحبّ، كسوف رونقه...

يجب علينا إذًا، ونحن نعتمد نصيحة متى الإنجيلي الواردة أعلاه، أن نصمّم على بناء زواجنا في الديمومة وأن ننمو معًا في جميع المجالات. نعرض عليكم في هذا المضمّر أركان الحكمة السبعة وهي: المشاركة، المسؤولية المتبادلة، التطلب المتبادل، الخيال، إنكار الذات، المغفرة، الصلاة. علمًا بأنّ الصلاة هي الدعامة المركزيّة لهذا الصرح.

المشاركة: تتطوّر مشاركة الحياة والحبّ مثلما يتطوّر الكائن الحيّ. وقد سبق لنا أن أشرنا في الفصل الثالث إلى ضرورة العمل على إنشاء هذه المشاركة، إلّا أنّ المطلوب هو صيانة هذا الكائن وإبقاؤه فتنيًا، وما يساهم في ذلك مجيء الأولاد وكذلك تقاسم الأفراح والأحزان. ولا بدّ هنا من الاحتراس بالنسبة للمحن، فثمّة مصائب رهيبية (مثل المرض أو وفاة أحد الأولاد) تتطلب أن تكون وحدة الزّوجين قائمة مسبقًا وأن يكونا قد اعتادا على الارتكاز إلى بعضهما البعض، وإلّا تسببت المحنة في انقسامهما أكثر من اتحادهما، وقد دلت التجارب على ذلك.

المسؤولية: هي إحدى مرّكبات الحبّ، فالحبّ يعني التكفل... وعلى كلّ من الزّوجين أن يشعر بأنّه مسؤول عن الآخر في كلّ المجالات.

التطلب: من متّمات المسؤولية. وندعوكم هنا إلى تبني شعار جميل يقول: «حبّك بدون تطلب ينقصني، تطلبك بدون حبّ يثبّط همّتي، حبّك المتطلب ينمّيني».

ويجب أيضًا أن نكون متطلّبين الإثنين معًا، وأن نصمّم على تنفيذ القرارات التي اتخذناها معًا لبناء مشاركتنا.

الخيال : حتى نزوة الابتكار، هو أحد العلاجات التي تقي من سيطرة الرتابة القائلة للحبّ. لكن إذا خلّاقين وأصحاب خيال خصب.

إنكار الذات: هو شكل من الحبّ يقلل الناس من قيمته ويحطّون من شأنه في هذه الحقبة التي يفضّلون فيها أن يقولوا: «يجب أن أنفجر»... إلا أننا نقترح عليكم أن تفكروا في الأمر معًا. فالحبّ يعني أن يفضّل كلّ من الزّوجين الآخر وأن يريد أولاً سعادته وأن يقوم غالبًا بتنازلات وأحيانًا بتضحيات (على صعيد السلك المهني مثلاً أو تبديل المنزل الخ...). وغنيّ عن البيان أنّ إنكار الذات يجب أن يأتي من الطرفين!...

المغفرة: إذا ساد الحبّ بين الزّوجين، فكلّ منهما يصفح عن الآخر يوميًا دون أن ينتظر منه الخطوة الأولى، فيبتدئ بنفسه بالتقارب اللازم للمغفرة ويسامح بعمق نازعًا عنه أثار الحقد أو الحرد أو الغضب... فالحبّ هو المغفرة مقترنة بالتطلب.

الصلاة: من الصعب أن تعاش الأمور السابق ذكرها يوميًا، إذ يتطلب ذلك جهدًا كبيرًا. لذلك تحتاج جهودنا البشريّة إلى دعمٍ تُوفّره لها حياةٌ رويّة مشتركة، ونعمة سرّ الزّواج هي بالتحديد هذه المساعدة التي يقدّمها الله لنا كلّ يوم... إذا ما طلبناها إليه في الصلاة.

نص:

إنّ ثمرة الحبّ الوفيّ تكمن في اتحاد الأذهان والقلوب. لقد تغلّب حبّ المسيح المصلوب على الانشقاكات الناتجة عن الخطيئة. وحبّ الزّوجين الذي ارتقى في الزواج المسيحي يشارك في قدرة حبّ المسيح الموحّد. لذلك، يهب الله جميع المتزوّجين والعائلات المسيحيّة كافة، نعمة التحوّل إلى جماعة متحدة من الأشخاص ومسؤوليته. ولهذا السبب قلت في وعظتي الرسوليّة حول دور العائلة المسيحيّة في العالم المعاصر إنّ «مهمّتها الأولى هي أن تعيش بأمانة حقيقة الاتحاد في جهد دائم لإنماء مشاركة حقيقية بين الأشخاص».

ومثلما تستوجب الحياة المسيحيّة اهتداء متواصلًا، كذلك تسلّزم حياة الزّوجين المشتركة أن يبذلوا جهودًا مستمرة وسخيّة لتعميق اتحادهما الزّوجي، علمًا بأنّ الله أراد إيجاد تكامل طبيعي وانجذاب بين الرجل والمرأة. بيد أن هذا التكامل وهذا الانجذاب يحتاجان إلى تنمية وتغذية عن طريق حسن التفات كلّ من الزّوجين نحو حاجات الآخر، وقبل كلّ شيء، عن طريق اللجوء إلى نعمة سرّ الزواج. فالروح القدس، روح

الحق والمحبة، ينسكب على العريس والعروس في سرّ الزواج بطريقة خاصة ويساعدهما في رغبتهما للتغلّب على النواقص الشخصية وعلى الأنانيّة كي يصلا إلى اتحاد أكبر فأكبر في المسيح.

(يوحنا بولس الثاني، خطاب نيروبي، ١٧ آب ١٩٨٦)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

- هل يشعر كل من الزوجين أنّه مسؤول عن زوجه في جميع المجالات؟ الروحية منها والمهنية والمدنية وغيرها؟
- هل يسعى كلّ منهما إلى الافساح في المجال أمام زوجه، ليس فقط ليقوم اعوجاجاته، بل ايضاً وخاصة لينشرح ويستثمر مواهبه؟ ويجب هنا الاحتراس من وضع الكوابح أمامه بدافع من محبة مزعومة.
- هل نطالب؟ هل نسامح في العمق، إنّما مع نظرة حبّ؟
- كيف نبرهن عن تطلباتنا وتضحياتنا؟ وفي أيّ مجالات؟ وكيف ينظر زوجنا إلى ذلك؟
- هل نتطلب من أنفسنا بقدر ما نتطلب من زوجنا؟ ما هي درجة الثقة القائمة بيننا؟
- على الصعيد الروحي، كيف يمارس كل منا مسؤوليته إزاء الآخر؟
- كيف تطوّر معنى تلك المسؤولية منذ قيام الحبّ بيننا؟
- ما هي الجهود التي نبذلها لمكافحة الرتابة والجمود؟
- ما هي مكانة «واجب المجالسة» في وجهة النظر تلك؟
- ما هي المساعدة التي نطلبها من الفرقة بهذا الخصوص؟ هل التعاون الروحيّ مفيد لتقوية وتوسيع ما يطلبه كل واحد من الآخر؟
- ما هي المؤازرة التي تستطيع حركة فرق السيّدة تقديمها لنا؟ ماذا نطلب إليها؟
- هل نستفيد من الرياضات الروحية والدورات والخدمات والمسؤوليات في فرق السيدة وفي غيرها؟
- هل نحرض على أن نُعلن للعالم ما يمثله سرّ زواجنا ورغبتنا في أن نكون سعيدين معاً، كلاً منا متمنياً الخير للآخر، وكذلك ما تمثله مسؤوليتنا الواحد تجاه الآخر وتطلبنا المتبادل الذي يرافق الحب ويدعمه؟

نص للصلاة

«ليس من يقول لي: «يا ربّ! يا ربّ!» يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل مشيئة أبي الذي في السماوات. فسوف يقول لي كثير من الناس في ذلك اليوم: «ربّنا، ربّنا، أما باسمك نطقنا بالنبؤات؟ وباسمك طردنا الشياطين؟ وباسمك أتينا بالمعجزات الكثيرة؟» فأقول لهم علانية: «ما عرفتكم قط. إليكم عني أيّها

الفاسقون!» فَمَثَل من يسمع كلامي هذا فيعمل به كمثّل رجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح، فثارت على ذلك البيت، فلم يسقط، لأنّ أساسه على الصخر. ومثّل من سمع كلامي هذا فلم يعمل به كمثّل رجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح، فضربت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيمًا. «

(متى ٧، ٢١-٢٨)

الجهد المقترح للشهر القادم

الاستعداد للرياضة الروحية وتنظيمها باعتبارها نقطة من نقاط الجهد الملموسة، وهي فترة مخصّصة للانفراد والهدوء والخشوع، فترة يلتقي الزوجان فيها مع ربّهما الذي هو نبع حبّهما.

نصوص مختارة حول الفصل السابع

ما هي المحنة، إن لم تكن سببًا جديدًا يَحْمِل الزوجين على زيادة التزامهما ببعضهما ببعض؟

(الكردينال بوتي دي جولفيل)

حبّذا لو كان الزوجان يتعاملان مع بعضهما البعض كما في الفترة الأولى من الزواج فيحترم كلّ منهما الآخر ويراعي جوانبه الحساسة، ويزداد هو نفسه مرونة ورقة من كثرة معاشرته للشخص الذي يحبه... لو حصل ذلك لكان أمرًا رائعًا. ولكن العكس هو الذي يحدث مع الأسف إذ يهمل الزوجان سلوكهما مع بعضهما إلى حدّ أنّهما لا يلتزمان بالتهذيب واللياقة والتلاطف سوى تجاه الغرباء وتجاه الذين لا يعرفانهم فينبذان كلّ تحفظ بينهما بداعي أنّه إذا كان لا يحقّ للمرء أن يظهر على علّته في منزله فذلك يعني نهاية كلّ شيء.

حذار، حذار! يجب على الزوجين دائمًا أن يبذلا الجهود ليتحمّل كل منهما الآخر وليساعده على تحمّله هو، وذلك بالعمل المتواصل على تحسين الذات. لم نسمع أبدًا أنّ زيادة الرقة بين الزوجين تؤدي إلى الملل أو خيبة الأمل أو الفشل. على الزوجين أن يلبدا حبهما من جديد كلّ صباح ولكن دون الاستقرار فيه، بل بإيجاد أسباب جديدة تبعثه إلى الحياة كلّ يوم، وكأنّما يقول كلّ منهما للآخر: «إنّي أعيد اختيارك كلّ صباح».

والسعادة تنتظر الزوجين اللذين يتجنّبان الرتابة ويسعى كلّ منهما إلى اكتشاف الآخر بصورة متواصلة ويجدان الوقت للتحدث ويصغيان إلى بعضهما البعض ويحتفظان كلّ منهما للآخر بالعتاء والمغفرة...

« يجب دائماً أن نخصّ بحبنا كلّ ما هو جميل: الزهرة المفتحة في وسط الغابة، الحصان الجميل، بادرة الطفل، النكتة الطريفة، ابتسامة المرأة... يجب أن تُعجب بكل شيء جميل نمرّ به وأن نكتشفه، حتى لو كان في الوحل، وأن نرفعه نحو الله، ولكن دون أن نتعلق به، لأنّه ليس سوى بريق، في حين إنّنا مصنوعون لأجل الشمس، لا لأجل البركة القائمة التي تنعكس فيها أضواؤها... »

(غي دي لاريغودي)

« لكي تكون الحياة الزوجية ناجحة، يجب أن يكون كلّ من الزوجين مصمّماً على أن يفعل كلّ ما يلزم لوجود الآخر، فيلتزم بأداب السلوك والتعاش، كابحاً نزعاته، متكيفاً، متفاسماً، فيُرسی السعادة الفورية في أسرته باتباعه هذه السياسة القائمة على التنازلات اليومية. وبالعكس، إذا ما رفض تقديم التضحيات وبقي متحفّظاً بعيد المنال، فسوف يتسبّب بالتعاسة لنفسه ولشريك حياته. فالمحبّة السعيدة ترتبط بالتضحية لأن حياة كلّ من الزوجين تخرج منه وتُلقى به باستمرار نحو الآخر، ولأنّ الله الذي خلقنا على صورته هو ثالوث أي علاقة حبّ وخروج دائم من الذات لأجل الحبّ.

(غيلين لافون: في الرهبان وفي الناس)

«علّمنا يا ربّ أن نعيش متيقظين لما يصدر عن قلوبنا من نداء ومن رفض، ساعدنا على أن نتجاوز دائماً عذاب الحبّ حتى ينبع الفرح والحنان. دع الحوار يتيح لنا أن نكتشف فوارقنا لنرضى بها وأوهاننا لنشفيها. الحمد لك يا ربّ، لأنك خلقتنا كي نجعل الناس أكثر سعادة إذ يرون كلاً منا يُحبّ الآخر مثلما أحببتنا.

(الأب بلانشي، صلاة الزوجين)

«من الضروري أن ينمو الحبّ، وألاً يذبل. ولكنّ ذلك، إن حصل، يلاحظ بسرعة إذ إنّ الزوجين لا يعودان يتطوّران معاً لأنهما يسيران في اتجاهين مختلفين. فعليهما إذاً أن يجدا الوسائل للتقدّم إلى الأمام. وهما يتصوّران في كثير من الأحيان أنّ على كلّ منهما أن يبدأ بتحسين الآخر، في حين إنّ الأجدر به أن يباشر بتغيير قلبه هو، وبالطبع إنّ ذلك لا يتحقق بالدرجة التي يرغبها وبالسرعة التي يريدها. ومع ذلك، لا بدّ من التصميم على ذلك ولا بد من المثابرة على العمل.

إنَّ نموَّ الحبِّ بين الزَّوجين، بقدر ما هو ناجح، سيؤدِّي إلى حيويَّة العلاقة بين الأهل والأولاد بحيث تعمَّ العائلة بأسرها والأقارب كافة. وإذا كان الحبُّ الزوجي يتسم بدرجة كافية من الرفق والتسامح، فلا شك أنَّ الشجارات البسيطة بين الزَّوجين والجروح التي قد تنجم عنها ستتلاشى في بريق ابتسامة يتبادلانها في تفاهم وحبِّ.

(أندره ايسنار: رغبة النمو لدى الزَّوجين)

«صدف لي أن تعرَّفت على وجه أحد الأشخاص. كنَّا متواجهين، قريبين من بعضنا البعض الى درجة كافية لنشعر أننا جدَّ متقاربين، وكنَّا بعيدين عن بعضنا البعض إلى درجة كافية لنشعر باحترام يحيط بتقاربنا. وكان يراودني حدس أنَّ في هذا الحيز الذي يفصل بين وجهينا يختبئ عمقك يا ربِّ.

إنَّ ذلك لصحيح على نحو خاص أمام وجه المرأة التي أحبَّها. فأنا أعرف أدنى تفاصيله ولا يخفاني أيُّ من تعابيره. وغالبًا ما أعلم ما ستقوله لي حتى قبل أن تفتح فمها. ومع ذلك، وفي وسط أجمل لقاءاتي معها، أكتشف أنه لا يسعني الاقتراب منها إلا باحترام. وفي الحنان الذي أكنَّه لها، لا أُرغب أبدًا أن «أتمتع بها» (ما أبشع هذه الكلمة!) وأن أبعدھا عمَّا هي أمام نفسها وعن كلِّ من تقيم علاقة معه. وأحيانًا أشعر أمام هذا الوجه الذي أحبَّه وأعرفه ولم «أمتلكه» قط، أنَّ ثمة شيئًا يتخطاني ويخرقني وينادي بي، شيئًا أعظم وأفضل منِّي.

وكلما أقترَّب من غيري بهذا الشكل ملتزمًا جانب الاحترام الكلي، يخيل إليَّ أنني أكتشف بعضًا من وجهك بالذات يا ربِّ، وجهك الظاهر والخفي في نفس الوقت، وجهك الذي لا يُسبَّر لكنَّه قريب إلى حدِّ أن وجودي أمامه يأخذ أحيانًا بمجامع قلبي.

(كتاب صلاة)

الفصل الثامن: مدعوّان معاً إلى القداسة

(ننصح بإعادة قراءة المقدّمة قبل التطرّق إلى هذا الفصل)

« فكونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم السماوي كامل. »

(متى ٦، ٤٨).

(نقترح عليكم، وأنتم تدرسون هذا الفصل الثامن أن تحاولوا وعي عدّة حقائق غير واضحة، هي:

- القداسة لا تقتصر على «نخبة من الأخصائيين». «أنّها الحد الأدنى الحيوي لكل مسيحي»²
- نحن مدعوّون منذ الآن إلى أن نصبح قديسين.
- إنّ عمادنا، الذي ألبسنا صورة المسيح، جعلنا أهلاً لأن نصبح قديسين، وجعل ممّا أبناء الله.
- في الزّواج وبواسطة الزّواج نستطيع الاتجاه نحو هذا المثل الأعلى.

بالنسبة لتلك الحقائق، نلاحظ أنّ مجرد كلمة «قداسة» تخيفنا، لأننا نتصوّر أنّ القديسين كائنات استثنائية يقومون بأعمال خارقة ويحرمون أنفسهم من كلّ شيء. وفي الواقع، تقوم القداسة على تأدية أمور بسيطة ومحبة، كما تقول القديسة تيريز الطفل يسوع.

كما أن هناك تواضعاً كاذباً يشلّنا، ولسان حالنا هو: «هذا أصعب من أن نقوم به...» فنخاف على حرّيتنا، مرتاعين من الانجراف إلى أبعد ممّا نريده...

لنفتنح إذًا بما يلي:

- القديس إنسان عاديّ يقوم بأعمال عادية إنّما بدافع المحبة لأنه يرغب في أن يعرف الله وأن يحبّه كل يوم أكثر من يوم.
- القديس هو من يجعل حياته مطابقة لتلك الرغبة، من خلال حياته اليومية التي يعيشها في المحيط الذي يتواجد فيه. كان القديس فرنسوا دي سال يقول: «يجب أن نعتني على الشجرة التي وضعنا الله عليها».

² - سيمون فيل، كاتبة فرنسيّة وأستاذة فلسفة، من أصل يهودي، اهدت إلى المسيحية، توفيت عام ١٩٤٣، من مؤلفاتها: «ثقل النعمة».

- القديس هو إنسان، إذ يقوم بذلك، يشهد لـحبّ الله، إنّما تقريبيًا دون أن يعلم.. وتقريبيًا دون قصد... وبكل تواضع وبكل تجرّد. بكلمة واحدة، القداسة هي أن نقول «نعم» في كل حياتنا ولأجل كل حياتنا.

القداسة، والحالة هذه، هي بالفعل، الهدف المشترك للمسيحيين كافة.

أمّا نحن، باعتبارنا معمّدين ومنتزّجين، فيجب أن نسعى إلى بلوغ هذا الهدف مع شريك حياتنا، في زواجنا وبواسطة زواجنا، وبنعمته تعالى. وهذا يفترض ما يلي:

- أن نكتشف تدريجيًا، زوجًا وزوجةً معًا، كم يحبّنا الله.

- أن نكتشف معًا كم هو يحبّ أسرتنا.

- أن نرضى معًا بأن ندع الله يقودنا (وهذا شرط ضروري ولكن غير كاف...)، وعلى وجه خاص، أن

نريد القداسة باحثين في الوقت عينه عن السعادة، ذلك لأنّ السعادة والقداسة لا تتناقضان... فالقديسون

أناسٌ في غاية السعادة...

وبما أنّنا نعيش زوجًا وزوجةً معًا، فسيكتشف كلّ منّا الله في الآخر، وهذا يستوجب أن نتبادل الحبّ وعتاء الذات، وأن ننسى أنفسنا، وأن نشهد لحبّنا أمام العالم.

هذه المسيرة ستشكل «القضية الكبرى» في حياتنا الزوجية بحيث تقودنا إلى أن نعيش في طمأنينةٍ مختلفةٍ مراحل حياتنا البشريّة، حتى نلاقي ذاك الذي وهبنا أجمل هديّة يمكن للرجل والمرأة أن يتوقا إليها، ألا وهي الحبّ...

نصّ:

أيّها الأبناء والبنات الأعزّاء، لا بدّ أنّكم مقتنعون بأنكم إذا عشتم نعم سرّ الرّواج فستسيرون بحبّ سخيّ لا يكلّ نحو هذه القداسة التي نحن مدعوّون إليها جميعنا، ليس بموجب طلب كيفيّ، بل بدافع حبّ نابع عن أب يريد لأبنائه الازدهار الكامل والسعادة التامة. وبطبيعة الحال، لستم وحدكم، طالما أنّ المسيح والروح القدس، وهما «يدا الله» على حدّ قول القديس إيريناوس، يعملان لأجلكم بلا توقف.

لذلك لا تدعوا الإغراءات والمصاعب والتجارب التي تظهر على الطريق، لا تدعوها تحيدكم عن الاتجاه الصحيح، ولا تخشوا أن تسيروا إذا لزم الأمر، في تيار معاكس لما يفكر فيه ويقوله عالم اليوم الذي يتصف سلوكه بطابع وثني. لقد حذرنا القديس بولس من ذلك حيث قال: «لا تتقيّدوا بهذا العالم بل تحوّلوا بتجديد نفوسكم».

لا تياسوا عندما يسيطر عليكم الضعف فالهنا هو أب ممتلىء حنائاً ورفقاً، وهو يُفيض العناية والحب على أبنائه الذين يتعثرون على الطريق، كما أنّ الكنيسة هي أمٌ تزيد أن تساعدكم على أن تعيشوا عيشة تامة هذا المثل الأعلى للزواج المسيحيّ الذي تذكركم بجماله وبكلّ متطلباته.

(بولس السادس الى فرق السيدة، روما عام ١٩٧٠: الدعوة إلى القداسة)

أسئلة

(نحاول الإجابة على الأسئلة التالية على مستوى الزوجين أولاً ، ثم نختار بعضها لنطرحه للبحث داخل الفرقة، ويمكن القيام بهذا الاختيار مثلاً خلال اللقاء المصغّر الذي يعقد لتحضير الاجتماع الشهري).

- كيف نستقبل دعوتنا إلى القداسة؟ بفرح؟ بتواضع؟ بدهشة؟ بالشك؟
- ما هي القداسة بالنسبة لنا بشكل ملموس؟
- ماذا يعني تمّني القداسة لكلّ من الزوجين؟
- ما الذي لا يزال يعيق عمل الله فينا؟
- هل ثمة تعارض بين رغبتنا في الحرّية ورغبتنا في القداسة؟
- هل ندرج هذه الدعوة إلى القداسة في النقاط التي نبحثها في واجب المجالسة؟ وفي حال النفي، لماذا؟
- القداسة والحرمان؟ القداسة وقبول ما تعرضه علينا الحياة؟ القداسة والخيار الحياتي؟ القداسة وممارسة التقوى؟ القداسة ومكافحة عيوبنا؟
- هل نعتقد أنّه يمكننا الإفادة من مساعدة أحد في مسيرتنا نحو القداسة؟ وهل سيكون مرشداً؟ أو رجل دين أو راهبة؟ أو الفرقة؟ أو حركة الفرق؟
- هل لدينا رغبة عميقة في أن نكون قديسين رغم ضعفنا وخطيئتنا؟
- ما رأيكم في هذه الكلمة للكاتب برنانوس: «المصيبة هي أن لا نكون قديسين»؟

الجهد المقترح للشهر القادم

المواظبة على قراءة كلام الله يومياً.

نص للصلاة: التطويبات

« طوبى لفقراء الروح، فإنّ لهم ملكوت السموات.
طوبى للودعاء، فإنّهم يرثون الأرض.
طوبى للمحزونين، فإنّهم يعزّون.
طوبى للجوع والعطاش إلى البر، فإنّهم يشبعون.
طوبى للرحماء، فإنّهم يرحمون.
طوبى لأطهار القلوب، فإنّهم يشاهدون الله.
طوبى للسّاعين إلى السلام، فإنّهم أبناء الله يدعون.
طوبى للمضطهّدين على البر، فإنّ لهم ملكوت السموات.
طوبى لكم، إذا شتموكم واضطهّدوكم وافترروا عليكم كلّ كذب من أجلي، افرحوا وابتهجوا: إنّ أجركم في السموات عظيم، فهكذا اضطهّدوا الأنبياء من قبلكم».

(متى، ٥، ٣-١٢)

نصوص مختارة حول الفصل الثامن

«حياة قديس، حياة أكثر إنسانيّة. الله لا يصنع القديسين بالجملة، وكلما ارتقى المسيحيّ المؤمن في القداسة كلما ترسّخت سماته...
والمسيحي لا يتقدّس رغم واجباته التي يُضيف إليها بعض ممارسات التقوى أو التقشف، بل يتقدّس أو لا في هذه الواجبات وبواسطتها، لأنّه إذا كان يجب القيام بها بالمحبّة، فإنّ هذه المحبّة لا تقاس.»

(ميشيل لا بورديت: كنيسة فاتيكان ٢)

«لا يزال الشهر الذي سبق دخولي إلى الكرمل يشكل لي ذكرى طيبة. في البداية، كنت أقول مثلك: «سأكون قديسة عندما أنتمي إلى الكرمل، وبانتظار ذلك الحين، لن أتعب نفسي...» لكنّ الله بيّن لي قيمة الوقت، ففعلتُ عكس ما كنت مصمّمة عليه، وقرّرت أن أنهيّ لدخولي إلى الكرمل عن طريق مضاعفة وفائي، وكان ذلك من أحلى أشهر حياتي. صدّقيني، لا تنتظري أبداً إلى الغد لتبشري بالسعي إلى القداسة.»

(من تيريز الطفل يسوع الى شقيقتها مريم الثالثية)

« نأسف جداً لأنّ المؤرّخين لا يهتمّون إلاّ استثنائياً بشهادات القداسة التي يقدّمها العلمانيّون المتزوّجون، والواقع أنّ مسؤولية ذلك تُعزى جزئياً إلى نفوذ الرهبانيّات وإلى العادات الكنسيّة، فقليلون جدّاً هم الذين أعادوا إلى الأذهان، على غرار القديس فرانسوا دي لاسال، أنّ للقداسة صلة بجميع أوضاع الحياة، وأقلّ منهم أيضاً الذين قالوا، حتى تاريخ حديث، إنّ الزّواج الذي يمثل وضعاً حياتياً مكرّساً بأحد الأسرار، إنّما هو درب تقديس بواسطة الحبّ المتبادل الخصب والتعاون الروحيّ.

هذا، وقد كان العديد من الواعظين لا يتناولون مسألة الحياة الزوجيّة إلاّ للتركيز على «تحمل الزّوجين لبعضهما البعض». ومع ذلك، وخاصة منذ مطلع هذا القرن، فقد صرّح بعض المتزوجين بجرأة أنّ حياتهم العائلية كانت موضع اختبار روحيّ وأنّ حبّهم الزوجيّ، شأنه شأن حبهم لأولادهم، كان عبارة عن اقتراب من الله. فنتمنّى أن يعمد المؤرّخون إلى تسليط الضوء على ما تتضمنه قداسة الزّوجين من طابع ابتكاريّ ومن غنى، وهما اللذان أرادا تلبية طلب أبيهم السماوي بكلّ إيمان ومحبة.

إنّ الحبّ الذي يجمع بين الزّوجين في المسيح هو مكان مميّز للتقديس، إنّهُ فرصة لسماع نداء الله ومصدر ثقة وجرأة جلودة لتلبية هذا النداء. وفي حبّ الانسان لشريك حياته وأولاده، ولأبويه، يمرّ بعض من حنان الله ومن رفقته ومن طموحه نحو البشر، في حين إنّ هؤلاء يكشفون، في العديد من الأحيان، بواسطة مشاعرهم ولفناتهم وثقتهم، عن عطف الله وتوقّعه ومغفرته.»

(الأب لي شابليه: أليانس، عدد ١)

« نكون قد ارتكبنا خطأ وحتى وقعنا في بدعة إذا ما حاولنا إزالة فكرة البحث عن القداسة من أذهان الجنود في ألويتهم والجرفيين في حوانيتهم والأمراء في بلاطهم والمتزوّجين في منازلهم. صحيح يا صديقتي العزيزة، أنّ محض التقوى التأملية والرهبانيّة والدينيّة لا يمكن ممارستها في المهن المذكورة، إلاّ أنّه، بغضّ النظر عن تلك الطرق الحياتيّة الثلاث، يوجد طرق أخرى ملائمة لتقديس الذين يعيشون في المجتمع الدنيوي. وإليك، على سبيل المثال، أسماء بعض الذين تعاطوا التقوى بشكل تام: يوسف وليديا والقديس كريبان في حوانيتهم، القديسة آن والقديسة مرتا والقديسة مونيكا وأكيلا وبرسكّلة في منازلهم، كورنيليوس والقديس سباستيان والقديس موريس في ألويتهم العسكرية، قسطنطين وهيلانة والقديس لويس والطوباوي أمي والقديس إدوار في عروشهم. فحيثما وُجدنا، من واجبنا بمقدورنا أن نتطلع إلى حياة القداسة. »

(القديس فرانسوا دي سال)

« العماد لا يكفي. فالنعمة تصنع فينا مبدأ قداسة، ولكن يجب أن ننمي هذا المبدأ. والنعمة تضمنا إلى المسيح، ولكن يجب أن ننقل إلينا حياة المسيح تلك، يجب أن نلبس المسيح: « كما أنّ الذي دعاكم هو قدّوس، فكذلك كونوا أنتم قدّيسين في سيرتكم كلها، لأنّه مكتوب: «كونوا قدّيسين، لأنّي أنا قدّوس» (١ بطرس ١، ١٥-١٦). ولا بدّ أن تجتاحنا تلك القوى الإلهية التي دخلت فينا بالمعمودية. وقد قال الكاتب بول كلوديل: «يجب أن نضفي الطابع الإنجيلي على كل قوى روحنا». علينا إذاً أن نصبح قدّيسين.

ولكن، ربّ قائل يقول إنّ هذا الكمال الإنجيلي هو دعوة خاصة، إذ لا يعقل التوقع بأن يتحوّل جميع المسيحيّين إلى قدّيسين، فكونهم مسيحيّين يشكل إنجازاً بحدّ ذاته. هذا القول خاطيء، فكلّ مسيحيّ مدعوّ إلى القداسة، والوسائل وحدها هي التي تختلف، أي إنّ قداسة العلمانيين هي نفسها قداسة الرهبان، ولا يوجد سوى قداسة واحدة. وهذه القداسة إلزامية. فالآب يحبّ الابن، ولن يدخل الى بيت الآب إلّا الذي "يلبس" الابن. والقدّيسون هم الذين يتحوّلون على هذا النحو منذ حياتهم الدنيوية. أمّا الآخرون، فعليهم أن يخضعوا لهذا التحويل في نار المطهر. فالقدّيسون هم السابقون.

ربّ قائل يقول أيضاً إنّ المسألة تنطوي على بعض الكبرياء، إذ لا يطلب منّا الله أن نكون قدّيسين، بل أن نعترف بكوننا خطأة. نصل هنا الى نقطة رئيسية تتمثل في قلة اعتبار رجال اليوم للجهد الطوعيّ الذي يشكل جانباً أساسياً من القداسة. صحيح تماماً أنّ اعترافنا المتواضع ببؤسنا هو الطريق الوحيد إلى القداسة، بيد أن ذلك لا يعني أبداً أنّ هذا الاعتراف هو الطريق كله.

إنّ الفضيلة في أيّامنا الحاضرة أصبحت ذات سمعة سيئة، ويعتبرها الناس مثيرة للسخرية، نظراً لطابعها المتصلّب. وعالمنا المقتنع بفائدة التحليل النفسي يجد للخطايا شتى الأعذار، ويُنظر إليها كمعطيات طبيعيّة، والجهد الطوعي بالنسبة إليه هو كبت خطر. لا بل يذهب هذا العالم إلى حدّ الاشتباه بكون الفضيلة ضرباً من ضروب الرياء الفريسيّ. ووجهة نظره هي أنّه طالما أنّ كلّ ما يطلب من الانسان هو إقراره بأنّه خاطيء، ألا يعني ذلك أنّ الفضيلة تصبح نزعة إلى محاباة الذات وأنّ الخطيئة تشكل في أن واحد الموقف الأكثر راحة والأكثر تقيّداً بالإنجيل؟

لذلك، وانطلاقاً من تناقض ظاهري فريد من نوعه، يعمد نفس الأشخاص إلى هدم أساسات القداسة المسيحية بتقويضهم الجهد الشجاع، ويتهمون المسيحيّين بأنهم ليسوا قدّيسين. وهنا لا بدّ من الاختيار. فالقضية ليست قضية نزعة أخلاقية. وقد قال الكاتب شارل بيغي في هذا الموضوع: «الضعفاء هم الذين اخترعوا الأخلاق، ويسوع المسيح هو الذي اخترع الحياة المسيحية». القضية إذاً هي قضية حياة مسيحية، قضية قداسة. والقداسة تُكتسب من خلال الجهود التي تُبذل يومياً للتقيّد بمواعيد الصلاة والعمل ومراعاة الطهارة ومن

خلال هذه المحاولات الخرقاء ومن خلال مضايقة الذات الطوعيّة ومن خلال سخريّة محبّي الدنيا ومن خلال المثل السيء الذي يعطيه بعض المسيحيين، نعم من خلال كل ذلك تُكتسب القداسة.

«العالم يطلب قديسين». هذه العبارة هي للفيلسوف ماريتان، وهي صحيحة. فما يؤخذ على المسيحيين ليس كونهم مسيحيين بل كونهم مسيحيين بصورة غير كافية. وهؤلاء الذين يسخرون من المسيحيين أنفسهم يحسدونهم على إيمانهم في قرارة نفوسهم. إنّ ما ينتظره العالم اليوم هو وجود مسيحيين يشعّ فيهم مجد المسيح القائم من الأموات ويحقّق فيهم الروح القدس أعماله الرائعة، مسيحيين يقدّمون إلى العالم بقداستهم شهادةً على ما للنعمة الإلهيّة من فعاليّة مطلقة.

... نستطيع الآن قول ما يجب قوله: القداسة هي المشكلة الوحيدة، فالمأساة الحاضرة تكمن في أنّ العالم يحتوي على عدد ضخم من المعمّدين والمسيحيين العديمي الوفاء تجاه دعوة القداسة... وإذا وُجدت كنيسة وكانت كنيسة قديسين فأثّها ستغيّر بالتأكيد وجه العالم.

... وستكون مهمّتنا أن نُنشئ تنظيمًا بشريًا جديرًا بالمحبّة يستطيع الناس فيه أن ينفذوا دعوتهم المسيحيّة. وهذه المهمّة، لا يزال العالم يتوقع من المسيحيين أن يؤدّوها، لكنّهم لن ينجزوها ما لم يسعوا، متواضعين إنّما أوفياء، إلى أن يصبحوا قديسين، وفقًا لدعوتهم الذاتيّة ولوضعهم الحياتيّ الخاص. «

(الكردينال دانييلو)